وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: 181835087341

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر LMD ، تخصص: لسانيات عامة

بعنوان:

مسائل الإعجاز اللغوي القرآني بين الرُمَّاني و الباقلاني

إعداد الطالبة:

- بتقة إلهام

أمام لجنة المناقشة :

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	د/هبال خير الدين	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	رئيسا
2	د/عرباوي محمد	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	د/عابي عبد السلام	أستاذ محاضر ب	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1443/1444هـ.2022/2023م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

التصريح الشرفي

الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أسفله السيد العمام بتقة الصفة (مكلف ، باحث ، باحث دائم)

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم [illegible] الصادرة عن بلدية الحمان بتاريخ 18.02.2015

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث (مذكرة تخرج ، مذكرة ماستر ، أطروحة دكتوراه) عنوانه مسائل الإعجاز اللغوي الدرة الجلية بين الرماني و الباقلاني.

تحت إشراف الأستاذ عرباوي محمد.

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه، وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

التاريخ 09/04/2015.

التوقيع

شوهد وصودق على إمضاء السيد العمام بتقة
المعرف له بـ بطاقة
رئيس المجلس الشعبي البلدي

مصادقة بلدية

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
ونائب رئيس بلدية
مفوض الحالة المدنية
الملحق / العالم زكرياء

كلية الآداب واللغات

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

أحمد الله عز وجل الذي وفقني لإتمام هذه الرحلة العلمية والذي ألهمني الصبر ورزقني العزيمة لإنهاء هذا البحث.

وأتقدم بخالص شكري وامتناني وحبي لشموع دربي أبي الغالي وأمي نبع الحنان اللذان تعبا من أجلي وساندني منذ ولادتي إلى هذه اللحظات .

وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور الفاضل "عرباوي محمد "على إرشاده لي بالنصح والتصحيح وعلى اختيار عنوان بحثي، وأقدر كل توجيهاته القيمة التي ساهمت في إثراء موضوع دراستي، فعند تذكر ما قدمه لي خلال رحلة بحثي يقف لساني عاجزا عن القول، فلا توجد كلمات شكر أو عبارات تقدير توفيه حقه، فقد كان بمثابة المحفز والداعم والمسير لي خلال عملي.

وأشكر كل من ساهم في إنجاح عملي ودعمني ولو بابتسامة تتهلل لها أواصر القلب وترتاح لها أعتاب الروح .

إهداء

إلى شمس نهاري وإلى من أفضلها على نفسي وعلى الناس أجمع، التي لم تدخر جهدا في سبيل إسعادي على الدوام "أمي الحبيبة "

إلى قمر ليلي سندي الذي لم يبخل علي طيلة حياتي، من علمني العطاء ومن أحمل اسمه بكل فخر، ومن كان له كل الفضل في إكمال رحلتي العلمية "أبي الغالي ."

أهديكما ثمرة جهدكما قبل أن تكون ثمرة جهدي، التي كانت بذرة سقيتموها بودكم وعطائكم ودعمكم فنمت وأزهرت وغمرتنا بواسع عطائها .

إلى خالي العزيز" بلقاسم" السند والحافز، طيب القلب .

إلى إخوتي الأعزاء الذين لم يبخلوا على بالدعم والمساعدة لتجاوز الصعاب .

إلى أساتذتي وأصدقائي ورفقاء الدرب الذين دعموني رغم بعد المسافات وإلى كل من تسعهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي أدامكم الله وأدام ودكم.

مقدمة

مقدمة :

المصحف هو كتاب الله المقدس والمعجز الذي أنزله على نبيه محمد حجة وآية وبيانا، فالله عز وجل عند تحديه لأي قوم يتحداهم فيما هم متمكنون منه، تحدى العرب في لغتهم فهم أعرف الناس بالبلاغة والأبرع في الفصاحة.

فعند نزول القرآن الكريم أُدهشوا وحيرت عقولهم وأُسرت قلوبهم لروعة معانيه وبيانه ودقة ائتلاف ألفاظه وأساليبه، فأدركوا نقصهم وضعفهم عن معارضته وطبع عليهم الخزي والحيرة حيال فصاحته ونهاية بلاغته فذهبوا لوصفه بالسحر والشعر وقالوا أنه أساطير الأولين وأن إفك افتراه وأعانه عنه آخرون، فقرعهم القرآن على أن يأتوا بمثله ولو بمثل آية منه لكنهم عجزوا ، فظلوا يتجرعون مرارة الإخفاق، لكنهم لم يكفوا عن زرع الشبهات حوله.

فلما كثرت المطاعن وحامت الشكوك والشبهات حول القرآن الكريم همت طائفة من أهل العلم للدفاع عنه ولرفع افتراءات الكفار عليه، فألفوا العديد من الرسائل والكتب للرد على المعارضين وللدفاع عن عقيدة المسلمين، فكانت مسألة الإعجاز من أهم المسائل التي تداولوها، فقد تناول العلماء هذه المسألة من عدة جوانب فالإعجاز القرآني على أربعة أوجه إعجاز غيبي، وإعجاز لغوي، وإعجاز تشريعي، وإعجاز علمي، وأبرز هذه الوجوه إقبالا من طرف أهل العلم هو والوجه اللغوي، فقد حظي هذا الأخير باهتمام كبير وسط علماء العرب فهو من أهم القضايا التي درست القرآن من الناحية اللغوية والتي وقع فيها التحدي للعرب، ومن أبرز العلماء الذين تناولوا هذه المسألة أبو الحسن علي بن عيسى الرماني وأبو بكر الباقلاني.

وهنا يرد لأذهاننا الإشكالي التالي:

ما هي أهم مسائل الإعجاز اللغوي القرآني التي تناولها كل من الرماني والباقلاني؟

وتتفرع عنها مجموعة من المشكلات هي:

- ما هي إسهامات كل منهما في الإعجاز اللغوي ؟

- وكيف كانت طبيعة دراستهما للآيات القرآنية ؟

- هل اختلف الرماني و الباقلاني في دراسة الإعجاز القرآني ؟

*** أهمية الموضوع:**

وتتبع أهمية هذا الموضوع فيما يلي :

1- الإعجاز اللغوي هو أهم وجوه إعجاز القرآن للعرب فهي أفصح الأقوام وأبلغها، لكنهم عجزوا عن الإتيان بمثله .

2- هذا الموضوع يدفع القارئ إلى التأمل والبحث في كتاب الله الكريم، والدفاع عن العقيدة من المطاعن.

*** أهداف البحث :**

هذا الموضوع يهدف للعديد من القضايا أهمها :

1- إبراز عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم وإدراك عظمة الكلام الرباني وبيان أوجه الإعجاز اللغوي. .

2- بيان أصالة القرآن الكريم وإبراز تفرده بالنظم وبراعته في الفصاحة وبيان بلاغته المتناهية.

*** أسباب اختيار الموضوع:**

اخترت هذا الموضوع لعدة أسباب منها:

1- ميلي إلى الدراسات القرآنية خاصة اللغوية منها، فموضوع الإعجاز اللغوي يجمع بين قضايا التفسير ومسائل اللغة.

2- رغبتي في الكشف عن أهم قضايا الإعجاز اللغوي الصادمة لكل متلقٍ عربي اللسان.

*** الدراسات السابقة:**

بقطع النظر عن الكتب المؤلفة في الإعجاز اللغوي، فإن من أهم الدراسات الأكاديمية السابقة نجد:

– رسالة ماجستير موسومة ب:(توظيف البحث البلاغي في إعجاز القرآن بين الرماني والباقلاني)، نوقشت سنة 2006، للطالبة سحر عطا الله محمد الحسبان ،جامعة آل البيت، الأردن.

وما يميز بحثي عن هذه الدراسة هو: أنني قمت بالتركيز على آراء كل من الرجلين في الإعجاز اللغوي، ولم أعقد فصلا للمقارنة بينهما بل اعتمدت على المقارنة في سياق عرضي لأفكار كل منهما.

*** بنية البحث:**

ولمعالجة هذا الموضوع اتبعت خطة متكونة من ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة وهي على النحو التالي:

* **الفصل التمهيدي:** حول الإطار المفاهيمي للإعجاز القرآني، وتطرقت فيه إلى إعجاز القرآن، ووجوه الإعجاز القرآني، وأشهر العلماء الذين كتبوا في الإعجاز قديما وحديثا .

* **الفصل الأول:** حول مسائل الإعجاز اللغوي القرآني عند الرماني وتناولت فيه نبذة عن حياة الرماني، ووجوه الإعجاز القرآني عند الرماني، وقضايا الإعجاز اللغوي القرآني عند الرماني... .

* **الفصل الثاني:** مسائل الإعجاز اللغوي القرآني عند الباقلاني وتطرقت فيه إلى نبذة عن حياة الباقلاني، ووجوه الإعجاز القرآني عند الباقلاني، وقضايا الإعجاز اللغوي القرآني عند الباقلاني.

*** المنهج المعتمد:**

ولمعالجة هذه الخطة ولشرح عناصرها اتبعت المنهج الوصفي، حيث قمت بعرض أفكار كل من الرماني والباقلاني ثم قارنت بينهما مبرزة مواطن الاختلاف والتشابه.

*** أهم المصادر والمراجع:**

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها في توضيح معالم هذا البحث: إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني، والنكت في إعجاز القرآن للرماني(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، وكتاب الإعجاز البلاغي لمحمد أبو موسى كتاب المعجزة الكبرى القرآن لأبي زهرة وغيرها .

*** الصعوبات:**

ومن الصعوبات التي عرقلت سير بحثي: قلة البحوث والدراسات الأكاديمية التي تتناول هذا الموضوع وصعوبة الحصول على بعضها، ولأن حلاوة العمل وقيمته تكمن فيما يتعرض له الباحث من صعوبات فبفضل الله أولا وبمساعدة من أستاذي تمكنت من تجاوز هذه العراقيل.

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر وخالص الامتنان للأستاذ الفاضل (الدكتور عرباوي محمد) لموافقته على الإشراف على مذكرتي، والذي منحني من وقته الثمين ومن بحر معلوماته وخبراته الواسعة، ما شكل إضافة واسعة لعملي حيث كانت توجيهاته ونصائحه المنارة بمثابة الحافز والميسر.

والشكر موصول للسادة أعضاء لجنة المناقشة الكرام الدكتور عبد السلام عابي، والدكتور خير الدين هبال على تكرمهم بقبول مناقشة مذكرتي، وقراءتهم لها لغاية تقييمها وتقويمها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفصل التمهيدي : الإطار المفاهيمي للإعجاز القرآني

أولا : مفهوم الإعجاز القرآني

ثانيا : وجوه الإعجاز القرآني

ثالثا : أشهر العلماء الذين كتبوا في الإعجاز قديما و حديثا

تمهيد:

القرآن الكريم كتاب الله خاطب به أولياءه فعرفوه ، وأولي الألباب فأدركوه ، هو المعجزة الكبرى للرسول ﷺ ، حجة الله على الخلق ، تحدى بها الكافرين ، وطلب منهم أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله إلا أنهم عجزوا عن ذلك ، ليتضح للجميع أن هذا القرآن من عند الله وليس من عند محمد ﷺ ، وأن الله بعثه هادياً ومبشراً ورحمة للعالمين.

سنتناول في هذا الفصل الإطار المفاهيمي للإعجاز القرآني تمهيدا للفصول الموالية، تطرقنا فيه إلى مفهوم الإعجاز القرآني، ووجوه الإعجاز القرآني، وأشهر العلماء الذين كتبوا في الإعجاز قديما وحديثا.

أولا : مفهوم الإعجاز القرآني

1- تعريف القرآن الكريم:

1-1- القرآن لغة:

القرآن من قرأ مرادف للقراءة نقول قرأ الكتاب قراءة وقرآنا: تتبع كلماته نظرا ونطق بها أو لم ينطق بها وسميت حديثا بالقراءة الصامتة، والآية من القرآن: نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ فهو قارئ"[1].

فالقرآن كلام الله المنزل على رسوله المكتوب في المصاحف[2]، قال الله تعالى ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾ [القيامة: 17] ، جاء في البرهان أن: " القرآن تفصيل للآيات التي أحكمت في الكتاب فالقرآن أدنى إلينا في الفهم وأظهر في الترتيل من الكتاب، قال تعالى: ﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[فصلت:3][3].

---

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4،ج2، 1425هـ، ص722.

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، مصر، ج1، 1994م، ص494.

[3] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، د. ط، 2006م، ص ص 265-266.

جاء في الإتقان أنه مأخوذ من القرائن لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ويشابه بعضها بعضا فهي حينئذٍ قرائن[1].

قال صاحب المناهل: "إما لفظ القرآن فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي من باب إطلاق المصدر إلى مفعوله وذلك ما نختاره إسنادا على موارد اللغة وقوانين الاشتقاق"[2].

يقال للقرآن فرقان أيضا وأصله مصدر كذلك، ثم سمي به النظم الكريم تسمية للمفعول أو الفاعل بالمصدر، باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل أو مفرق بعضه عن بعض في النزول[3].

" ثم ضعف سائر ما قيل فيه من أقوال بقوله إما القول إنه وصف من القرء بمعنى الجمع أو أنه مشتق من القرائن أو أنه مشتق من قرنت الشيء، أو أنه مرتجل موضوع من أول الأمر على الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا مجرد من (ال) ولا من بعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة وعلى الرأي المختار فلفظ قرآن مهموز وإذا حذف همزه فذلك للتخفيف وإذا دخلته (ال) بعد التسمية فإنما للمح الأصل للتعريف[4].

يقول الأصفهاني : " والقرآن في الأصل مصدر، نحو كفران ورجحان وقد خص بالكتاب المنزل على محمد ﷺ، فصار له كالعلم وقال بعض العلماء تسمية هذا الكتاب قرآن من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه"[5].

---

[1] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة حجازي، القاهرة، ط1، ج1،ص162.

[2] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، ج1، 1415هـ/ 1995م، ص ص 15- 16.

[3] المرجع نفسه ، ص17.

[4] المرجع نفسه، ص18.

[5] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان داودي توزيع دار البشير ، جدة، ط2، 1417هـ، ص414.

1-2- القرآن اصطلاحا:

تعددت تعاريف القرآن الكريم، بتعدد الزوايا التي ينظر العلماء من خلالها إليه، ولعل أنسب تعريف هو: " القرآن الكريم هو كلام الله المنزل عل النبي محمد المتعبد بتلاوته والمعجز ولو بسورة منه"[1].

فالقرآن عند المتكلمين حين يطلقونه على الكلام النفسي يلاحظون أمرين أحدهما: أن القرآن عَلَم أي كلام ممتاز عن كل ما عداه الكلام الإلهي، ثانيهما: أنه كلام الله وكلام الله قديم غير مخلوق فيجب تنزهه من الحوادث وأعراض الحوادث[2].

هناك إطلاق ثابت عند المتكلمين يشاركهم فيه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية حيث قالوا:" اللفظ المنزل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس الممتاز بخصائصه[3].

2- تعريف الإعجاز:

لمعرفة معنى الإعجاز لابد من الرجوع لمادته اللغوية وملاحظة الروابط بين هذه المعاني التي وردت في أصل اللغة وبين المعنى الاصطلاحي .

2-1- الإعجاز لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (ع ج ز) أنا: "العجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزا"[4].

جاء في مختار الصحاح في مادة (ع ج ز) أن «العجُز بضم الجيم مؤخر الشيء يذكر ويؤنث... والعجز الضعف وبابه ضرب و(معجزاً) بفتح الجيم وكسرها و(معجزة) بفتح الجيم وكسرها وفي الحديث «لا تلثوا بدارِ معجزَةٍ » أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن

---

[1] نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، ط1، 1414هـ، ص10.

[2] الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص19

[3] المرجع نفسه ، ص20

[4] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، ط1، د. ت، ص2817.

الاكتساب والتعيش... و(أعجزه) فاته و(عجَّزه تعجيزاً) ثبطه أو نسبه إلى العجز و(المعجزة) واحدة (معجزات) الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[1].

كما ورد في أساس البلاغة في المادة ذاتها: "وطلبته فأعجز وعاجز، إذا سبق فلم يدرك"[2].

وعلى هذا النحو جاءت مادة (ع ج ز) في باقي المعاجم، فعند تأملنا وتفهمنا لهذه التعاريف وجدناها كلها تدور ضمن دائرة معينة هي أنها كلها ترجع لمعنيين اثنين أحدهما الضعف والآخر التأخر، وهذا ما وضحه ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة حيث قال " (ع ج ز) العين والجيم والزاي، أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف والآخر على مؤخر الشيء "[3]. قال الله تعالى﴿ **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[العنكبوت: 22] ، هنا يتضح لنا أن العرب لما اتحدوا إلى معارضة القرآن وإلى افتراض الإتيان بمثله عجزوا وبان ضعفهم وإعياؤهم وفاتهم فصاروا بمنزلة المتأخرين عنه.

2-2- الإعجاز اصطلاحا:

تعددت واختلفت عبارات أهل العلم في إشكالية ضبط مصطلح الإعجاز من حيث الإلمام بجوانبه وتحديد معانيه ، جاء في المناهل أن" إعجاز القرآن مركب إضافي معناه بحسب أل اللغة إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به "[4].

---

[1] محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تر: محمود فاطر، دار الفكر، لبنان، ط1، 1421 هـ/ 2001م، ص176

[2] محمد بن عمرو الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، ج1، 1419هـ ، ص635

[3] أبو الحسن احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، لبنان،(د.ط) ج4 ، 1399هـ/ 1979 م، ص 232

[4] الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ص259

هو ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولتها، على شدة الإنسان واتصال عنايته في ذلك ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه [1].

يقول المناوي:" الإعجاز في الكلام، تأديته بطريق أبلغ من كل ما عداه من الطرق"[2].

يعرف الرماني البلاغة قائلا: "البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[3].

والملاحظ هنا أن تعريف الرماني للبلاغة يشبه وبصفة كبيرة تعريف المناوي للإعجاز، وهذا إن دل عن شيء إنما دل على الأهمية البالغة للوجه البلاغي في إعجاز القرآن. ورد هذا عند الكفوي في كتابه الكليات حيث قال:" وإعجاز القرآن ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح لا الإخبار عن المغيبات ولا عدم التناقض والاختلاف ولا الأسلوب الخاص ولا صرف العقول عن المعارضة"[4].

3- تعريف إعجاز القرآن ودليله:

3-1- تعريفه:

إعجاز القرآن "معناه إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم عن ذلك، وذلك أن القرآن قد سما في العلو إلى شأن بعيد، حيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله، سواء كان هذا العلو في بلاغته أو تشريعه أو مغيباته"[5].

---

[1] مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط2، 1418هـ/ 1997م، ص151.

[2] محمد بن عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ودارالفكر، سوريا ولبنان، ط1، 1410هـ، ص75.

[3] أبو الحسن علي ابن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3،(د. ت)، ص75.

[4] أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان،(د. ط)، 1419هـ / 1998م، ص215.

[5] مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن ، ص 151.

" كلمة إعجاز مصدر وإضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر لفاعله، فكان التقدير أعجز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، ومعنى هذا أن القرآن دل بما فيه من بيان على أنه من عند الله وثبت عجز الناس على أن يأتوا بمثله".[1]

ويقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: "وإنما الإعجاز شيئان ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكان العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة باللغة ما بلغت".[2]

وقد عرفه القاضي عبد الجبار رحمه الله بقوله:" معنى قولنا في القرآن أنه معجز، أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به".[3]

وهذا معناه أن إعجاز القرآن يكمن في إظهار عجز العرب عن معارضة القرآن رغم تحديه لهم مرات عديدة، وبه يظهر صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة.

3-2- دليل الإعجاز في القرآن: يتجلى لنا دليل الإعجاز في القرآن في المظاهر التالية:

أ- التحدي:

تحدى القرآن المشركين العرب أن يعارضوه، فعند طلبهم المعجزة أتاهم الجواب من الله عز وجل لكنهم لم يكتفوا بذلك، بل مالوا إلى العناد والمكابرة غافلين عن العاقبة التي ستكشف عن حالهم، حيث قال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [الأنفال: 30]، فأخذ القرآن يتحداهم بدعواهم نفسها ونوَّع لهم في أشكال التحدي حيث كان يقرعهم تارة ويحمسهم تارة أخرى، ويبالغ في تحديهم لإثبات عجزهم عن معارضته فيتدرج من تحديه لهم بالإتيان بمثله إلى

[1] فضل حسن عباس، إعجاز القرآن، جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط2، 1997م، ص14.

[2] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن وبلاغة النبوة، مراجعة: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، 1424هـ/ 2003م، ص117.

[3] فضل حسن عباس، إعجاز القرآن ، ص14.

تحديهم بالإتيان بعشر سور من مثله وذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [هود: 13-14]، ثم انتقل إلى تحديهم بالإتيان بسورة واحدة مثله، وذلك في قوله تعالى:﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين** ﴾[يونس: 38]، ثم وصل التحدي إلى غايته الأسمى وبلغ منتهاه ودفعهم بالحقيقة التي لا مرية لها وقطع عليهم الطريق وسد أن وجوههم السبل، فأثبت عنهم العجز وذلك في قوله: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [الإسراء: 88][1].

ب- عجز المعارضة:

عجز العرب عن المعارضة واضطرب موقفهم وهذا رغم كونهم في ذروة البلاغة والفصاحة، فهم كانوا الأعرف بفنون القول وأساليب الكلام، فهم أكثر ما يكونون حرصا على إطفاء نوره وإخفاء أمره وأن يهبوا إلى معارضته، فهم قد زعموا أنهم لو أرادوا لقالوا مثله لكن شيئا من هذا لم يحصل، ولم ينقل عن أحد منهم أنه استجاب لتحدي القرآن في محاولة ما، فقد تعدوا أمر الإتيان بمثله إلى مسالك شائكة وطرق ملتوية وهذا من خلال وصفهم للقرآن بالشعر والسحر والمهانة وأنه أساطير الأولين.

قال تعالى: ﴿ **بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ**﴾ [الأنبياء: 5]، فند القرآن هذه الأباطيل والاتهامات التي كانت دليلا على عجزهم وضعفهم عن مقارعة الحجة وهروبا من التحدي وهذا لعلمهم أنهم ليسوا قادرين عن الإتيان بمثله، وهذا دليل مادي ملموس ومن أقوى دلائل الإعجاز في القرآن وما ورد من محاولات سخيفة في معارضته[2].

[1] ينظر: مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن ، ص ص 151- 153.

[2] مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن ، ص ص153 - 154.

ج- حجة سماعه:

جاء في أسرار إعجاز القرآن أن: "من دلائل الإعجاز في القرآن أن الله سبحانه وتعالى جعل سماعه حجة قال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة: 6]، فلولا أن سماعه حجة لما وقف أمنه على سماعه ولا يكون حجة إلا إذا كان معجزة"[1].

د- التأثير النفسي:

من أقوى دلائل الإعجاز في القرآن هو ذلك التأثير الذي يبعثه في النفوس فإنه لا يكاد يطرق السمع ويخلص إلى القلب فتجد منه النفس لذة وحلاوة لا تجدهما في غيره من الكلام، فالقرآن سحر قلوب العرب القاسية منها والخاشعة،فآمن منهم من شرح الله صدره للإسلام، وكفر منهم من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة تفصل بينه وبين دخوله الإسلام، والدليل على هذا التأثير النفسي الذي يؤكد إعجاز القرآن من ذلك القول الذي كان يتواصى به المشركون وحكاه عنهم القرآن في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** ﴾ [فصلت: 26][2]، وهذا معناه أن للقرآن تأثيرا كبير على النفوس وهذا لما فيه من عطاء الله وكرمه مما تحبه وتستحسنه وتستلذه النفوس، فهو يطرق السمع من خلال مصطلحاته وتعابيره، فلن نجد كلاما منظوما ولا منثورا كالقرآن، فإذا تلاه أحد على مسامعك خلص له قلبك وانشرح له صدرك واستكانت له نفسك، وهذا لما فيه من تأثير على كيان الإنسان.

ثانيا: وجوه الإعجاز القرآني

[1] المرجع نفسه ، ص154.

[2] المرجع نفسه ، ص155.

اختلف العلماء حول إشكالية ضبط وجوه الإعجاز القرآني، فمنهم من قال أنه على عشرة أوجه ومنهم من جعله على وجه واحد وكل ذي رأي يدافع عن رأيه، وكل متتبع لهذه الوجوه التي اختلف فيها العلماء قديما وحديثا سيلاحظ أن بينها الكثير من التشابه والتداخل.

" نجد أن وجوها كثيرة تدور حول الأداء البياني وأسلوب القرآن الكريم المتميز في ذلك، ووجوه تنصب على الهدايات في القرآن الكريم، ومن الوجوه ما يتعلق بالإخبار عن الغيوب، ومنها ما اشتمل على إشارات وإيحاءات إلى سنن الله في الكون والطبيعة والحياة التي خلقها الله سبحانه وتعالى"[1].

يمكننا جمع تلك الوجوه في أربعة هي: الإعجاز البياني (اللغوي)، والإعجاز الغيبي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي، نبينها فيما يلي:

1- الإعجاز البياني (اللغوي):

جاء القرآن بأسلوب فصيح غير مألوف للعرب من قبل خارج عن نطاق فصاحتهم وبلاغتهم، حيث احتوى على نظم بديع لمفرداته وجمله وتراكيبه، بلغ قمة الفصاحة وارتقى عرش البلاغة حتى أعجزهم على معارضته ومثل لهم اليأس قائما لا يتصل به طمعهم رغم عدم خروجه عن مفردات لغتهم وقواعد تراكيبها وقوانين صياغتها[2] .

فالله تعالى عند تحديه للعرب تحداهم فيما يبرعون أي تحداهم في لغتهم وهذا كون العرب الأعرف بالفصاحة والبلاغة والأعلم بأصولها، والإعجاز البياني للقرآن الكريم يكون من خلال ثلاثة أمور وهي: بلاغة القرآن الكريم وفصاحته، ونظمه، وأسلوبه.

1-1- بلاغة القرآن الكريم وفصاحته:

كما هو معروف أن العرب امتازوا ببراعتهم في اللغة حيث جاء في أسرار إعجاز القرآن أن : "صناعة الكلام مفخرة العرب وسيدة أعمالهم، بها ارتقوا إلى قمة الفصاحة وسموا إلى ذروة البلاغة ففي الكلام دارت بينهم مباريات، وفي أفانينه كانت لهم مساجلات

[1] مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار مسلم، الرياض، ط2، 1416هـ/ 1996م، ص121.

[2] جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار، أسرار إعجاز القرآن، جامعة الأزهر، القاهرة، ط1، 1417هـ/ 1997م، ص319.

وبين بلغائهم دارت مناقضات، كان الرجل منهم ينطق بالكلمة فيلحق بغيره عارا وكانت المرأة تتلفظ بها فتوقدها نارا، وكان الشاعر ببيت واحد ينال من المال ما اشتهته نفسه، وبكلمة واحدة يقطف رؤوسا ويزهق نفوسا"[1].

فالعرب آنذاك تميزوا عن غيرهم من الأقوام بحذقهم في البلاغة والسليقة فكانوا يقيمون مسابقات فيما بينهم في الأسواق بالشعر ويتبارون في الفصاحة، وكانوا يكرمون من أحسن في الشعر، حتى أنهم علقوا على جدران الكعبة ما يسمى بالمعلقات تكريما لأفضل الشعراء وتقديرا لأجود الشعر، فعند مجيء القرآن الكريم سحر البشر منذ اللحظة الأولى وأعجزتهم بلاغته المتناهية فعجزوا عن معارضته.

والبلاغة عند الرماني على طبقات منها ما هو في أعلى طبقة وهي بلاغة القرآن ومنها ما هو دون ذلك وهي بلاغة البلغاء من الناس مما يعني أن هناك فروقا بين بلاغة القرآن وبلاغة البشر وهذا سر الإعجاز في القرآن.

إن البلاغة صناعة وشأن الصناعة أن يتفاوت صناعها فيما بينهم على طبقات وهذا الذي وجد في بلاغة العرب، فعند مقارنتنا لبلاغة القرآن بها نجدها قد ارتقت فوق أعلى طبقة منها، بما لا وجه للمقارنة بينهما، فالقرآن الكريم جاء في أعلى طبقات البلاغة مما يفوق قدرة البشر ويتجاوز بلاغتهم ويعجزهم عن معارضته والإتيان بمثله[2]. ومن سمات البلاغة القرآنية التي جعلتها في أعلى طبقة وجعلتها معجزة للكافة نذكر:

أ- استمرار بلاغة القرآن على حالة واحدة من العلو والفخامة والعذوبة والروعة وجذب القلوب والتأثير في النفوس من أول آية إلى آخر آية فيه، أما بلاغة العرب فإنها تبدو في بعض العبارات دون بعضها الآخر، ويأخذ أسلوبهم في الانحطاط والعلو تبعا للمواضع التي يبرز فيها المتكلم، وتبعا لمزاجه الخاص وحالته النفسية، وذلك كله غير موجود في القرآن الكريم.

[1] جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار، أسرار إعجاز القرآن، ص112.

[2] المرجع نفسه ، ص ص119-121.

ب- ديمومة بلاغة القرآن في جميع الأزمان، وذلك على خلاف أية بلاغة أخرى لأن لكل زمان لون من الأدب.

1-2- نظم القرآن:

ورد في أسرار إعجاز القرآن أن: " فالمراد من نظم القرآن تأليف حروفه وكلماته وجملته بطريقة هي غاية في التناسب والتناسق، وبمنتهى الدقة والإحكام لتؤدي المعنى المراد على أبلغ ما يكون التعبير وأجمل ما يكون التصوير، شأن نظم اللؤلؤ في السلك ليبدو العقد في نظر الناظرين على أحكم ما يكون التناسب وأقوى ما يكون التماسك وأجمل ما يكون التناسق"[1].

وقبل أن نتعرف على النظم في القرآن نتعرف على النظم عند العرب فيما يلي:

1-2-1- النظم عند العرب: قسم الباقلاني فنون القول عند العرب إلى خمسة أقسام وهي: الشعر (المقفى الموزون)، والكلام الموزون غير المقفى (منه الخطب)، والكلام المعدل المسجع، والكلام المعدل الموزون غير المسجع، والمرسل (النثر).[2]

فالذي يتأمل نظم القرآن لا يرى فيه شيئا من هذه الأنواع، فهو بديع النظم لم يشهد العرب مثله من قبل، أعجزهم نظمه وأبهرتهم بلاغته، حيث يقول الباقلاني في حديثه عن نظم القرآن أنه: "عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه. [3]

1-2-2- النظم في القرآن : النظم في القرآن يكون في أمرين: [4]

أ- نظم الحروف القرآنية:

[1] جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار، أسرار إعجاز القرآن ، ص 135.

[2] الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن، تح: محمد زغلول إسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د: (ط، ت)، ص 21.

[3] الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، القاهرة، د(ط. ت)، ص35.

[4] ينظر: جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار، أسرار إعجاز القرآن، ص ص137-144.

فالقرآن الكريم نظم بديع في حروفه لم يعرفه العرب من قبل فعندما قُرئ عليهم القرآن رأوا فيه تلك الحروف المتتابعة أصواتها على نسب معينة بين مخارجها المختلفة حتى تنتهي الآيات بفواصل، فعند سماعهم لآيات القرآن وسحر نظمها أدركوا أنه يفوق أبلغ شعرهم وأفخم نثرهم، لأنه جمع من الشعر غاية جماله ومتعته ومن النثر قمة جلاله وروعته بل فاق ذلك بما لا حد ولا نهاية له وما أعجز فيه العرب عن معارضته.

ب- نظم الكلمات القرآنية:

فالناظر في الكلمات القرآنية يراها قد استعملت أفضل استعمال، حيث كانت كل ألفاظه مرتبطة بمعانيها، كانت أمس رحما بها وأبلغ تصويرا وأصفى رونقا وأجمل نسقا، فالقرآن من أوله إلى آخره لفظ واحد.

1-3- أسلوب القرآن وخصائصه:

فمن أوجه الإعجاز القرآني أسلوبه البديع، فأسلوبه هو تلك الطريقة التي امتاز بها عن غيره من خلال اختيار الألفاظ وبناء التراكيب وتأديتها على صورة بديعة، للتعبير بها عن معان خاصة قصد الإيضاح والتأثير، والأسلوب هنا لا يعني التركيب فالتراكيب ومفرداتها مواد يستخدمها صانع الكلام في إخراج صنعته والقرآن لم يكن غريبا عن العرب فقد نزل بلسانهم وبنفس حروفهم و مفرداتهم ليخاطبهم، وهذا ما عرقل إشكالية اعتراضهم له.

لو نزل القرآن بغير حروفهم و مفرداتهم لاعترضوا عليه قائلين تحدانا بما لا علم لنا به، فالذي منعهم من معارضته ويأسهم من الوصول إلى قمة بلاغة القرآن هو أسلوبه البديع الذي لم يروا قبله ولن يروا بعده، حيث وجدوا أنفسهم أمام أسلوب ذي نسق خاص في انتقاء تلك الحروف التي ألفوها وفي اختيار التراكيب على نفس القواعد التي فاخروا بها، وجدوا أنفسهم أمام هذا الأسلوب الذي أذهلهم عن أنفسهم وجعلهم يخروا لبلاغته ساجدين وبعظمتها مسبحين[1].

[1] ينظر:جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار، أسرار إعجاز القرآن، ، ص ص 164-165.

ومن خصائص الأسلوب القرآني نذكر : [1]

- ✓ مجيؤه على هيئة لم يألفها العرب.
- ✓ وإيجازه في اللفظ مع وفائه بحق المعنى.
- ✓ واستمرار بلاغته من أول آية إلى آخر آية منه.
- ✓ وإحكام سبك الآيات وموضوعات القرآن.
- ✓ والقدرة الفائقة في إيراد المراد بطرق شتى.
- ✓ وجمع الأسلوب القرآني بين الإجمال والبيان.

2- الإعجاز الغيبي:

من وجوه الإعجاز القرآني الإخبار عن الغيوب، ويقصد به ما تحدث عنه القرآن من أمور غائبة وليس في مقدور النبي ﷺ ولا بمقدور العالم كافة بأن يتحدثوا بالوجه الذي ورد في القرآن، فقد رأينا فيه حديثا عن أمور تضرب بجذورها في أغوار التاريخ منذ بداية خلق العالم ومنذ بداية خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام، إلى وقت بعثة النبي ﷺ بصورة دقيقة، صدقتها الكتب السماوية السابقة التي لم يعرف عنها الرسول شيئا، كما رأينا فيه إخبارا عن أمور غائبة معاصرة لرسول الله ﷺ ، بل عن أمور كانت مستكنة في قلوب المشركين واليهود والمنافقين، انتزعها الله من قلوبهم وأطلع نبيه عليها، كما وردت فيه أخبار عن أمور مستقبلة، فإذا بها تقع كما حدَّث عنها القرآن، هذه الأمور كلها لا يمكن بحال من الأحوال أن تخضع لذكاء مخلوق أو فراسته أو لعظيم علمه واتساع ثقافته[2].

وهذا معناه أن القرآن الكريم أعجز البشر فيما تضمنه من إخبار عن الغيوب، فهو قد تضمن أخبارا عن أمور مستقبلة وماضية وحاضرة لا يستطيع بشر أن يتنبأ بها فهذه الأمور لا يمكن أن تخضع لذكاء مخلوق أو فراسته فهي خارجة عن طاقة وعلم البشر.

ومن هذا نجد أن الأمور الغيبية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

---

[1] المرجع نفسه ، ص ص 166- 184.

[2] عبد الوهاب النجار، أسرار إعجاز القرآن ، ص221.

2-1- غيب الماضي:

ويقصد به ما جاء في القرآن الكريم من أمور حدثت في الماضي وليس في استطاعة النبي ﷺ الوقوف عليها وإدراكها إلا بإخبار من الله عز وجل، كالحديث عن خلق السماوات والأرض وخلق آدم عليه السلام والحديث عن قصص الأنبياء السابقين وما دار بينهم وبين أقوامهم.

2-2- غيب الحاضر:

ويقصد به حدث في عهد الرسول من أمور لم يشهد وقوعها ولم يكن له سبيل في الحصول عليها. ومن أبرزها: [1]

أ- الأمور العلمية: الخاصة بنظام الكون

ب- ما يقع من المنافقين من مكائد يكيدون بها الله ورسوله والمؤمنين فإذا بالله عز وجل يطلع رسوله على ما دار بينهم، بل على ما تحدثهم به أنفسهم وتخفيه قلوبهم، دون أن يتلفظوا به مثل ما جاء عنهم في غزوة الأحزاب ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ [الأحزاب:12].

ج-ما ورد في شأن اليهود وما كانوا يضمرونه من حقد على الإسلام ومخططاتهم للقضاء علي نحو ما جاء في صحيح مسلم «عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب قال: مر النبي ﷺ بيهودي محمما ومجلودا فدعاهم ﷺ فقال: هكذا تحدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا نعم، فدعا رجلا من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا ولولا أنك ناشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، لكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال الرسول ﷺ إني أول من أحيي أمرك إذا أماتوه، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ**

[1] ينظر: عبد الوهاب النجار، أسرار إعجاز القرآن ، ص ص 225- 229.

تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: 41]».

د- ما جاء في المنافقين واليهود معا: ما ورد من آيات تبين مدى التعاون بينهما وولاء بعضهم لبعض، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [الحشر: 11].

2-3- غيب المستقبل:

فالقرآن أخبرنا عن أمور أنها ستقع فكانت كما أخبر بها، وواضح أن ذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه وهذا النوع من الإخبار كثير في القرآن ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [آل عمران: 12]، نزلت في بني قينقاع حيث قالوا للرسول ﷺ : لا يغرنك من نفسك أنك قاتلت نفرا من قريش أغارا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، وقد حصل ما وعدهم به القرآن وحاصرهم الرسول ﷺ وغلبهم وأجلاهم[1].

ومن الأخبار المستقبلة التي تضمنها القرآن، إخباره عن انتصار الروم عن الفرس بعد هزيمتها المنكرة وذلك في قوله: ﴿**الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴾ [الروم: 1-3]، وتحقق ذلك في أقل من عشرين عام[2].

3- الإعجاز التشريعي:

من وجوه الإعجاز ومظاهره البارزة في القرآن ما تضمنه هذا الكتاب من التشريع العظيم، المتعلق بشتى مرافق الحياة الخاصة والعامة، يتناول منذ البداية حتى النهاية، لا

[1] مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو،الواضح في علوم القرآن ، ص157.

[2]محمد بن السيد راضي جبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، جامعة الأزهر، القاهرة، ص288.

يدع جانبا من جوانبها إلا ويضع له من الحلول والتنظيمات ما هو فريد في بابه، لم يسبق إليه شرع قبله، ولا لحق به تقنين ببعده.

"هذا التشريع كان ولا يزال يحسب حسابه في كل مجال يبحث فيه عن شأن التشريع والتقنين، ويضعه علماء هذا الفن في مقدمة المصادر التي يستفاد منها ويعتمد عليها، وهذا كله رغم تباعد الزمن ومر الدهور على عصر صدوره "[1].

فالقرآن اشتمل على منهج كامل وشامل لكل زوايا الحياة للفرد والمجتمع، بحيث يشمل علاقة الفرد بنفسه وبأسرته وجيرانه وقبيلته وأبناء مجتمعه المؤمنين والكافرين، وعلاقة الدولة المسلمة بغيرها من الدول، فهذا المنهج بشموله تعجز البشرية أجمع وفي أي عصر من العصور عن وضع مثله في ناحية واحدة من نواحي الحياة وليس في كل نواحيها.

القرآن إنما نزل ليكون تشريعا للناس في كل مجالات حياتهم فمن مجالات التشريع التي تضمنها القرآن نذكر: العقيدة والعبادات والمعاملات[2].

وخلاصة القول أن القرآن دستور تشريعي كامل القيم جعل الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرق مثال وسيظل تشريعه وجها من وجوه إعجازه ما بقي الدهر ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث في العالم أثر غير وجه التاريخ.

4- الإعجاز العلمي:

وهذا الوجه يعني اتساع الآيات القرآنية لتتناول حقائق علمية،" فالقرآن الكريم غزير بالآيات التي تشير إلى الكون وما به من كائنات (أحياء وجمادات) وإلى صور من نشأتها ومراحل تكونها وإلى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها والسنن الإلهية التي تحكمها، وما يستتبعه كل ذلك من استخلاص للعبرة وتفهم للحكمة وما يستوجب من إيمان بالله ويقين

[1] مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ص158.

[2] ينظر: عبد الوهاب النجار،أسرار إعجاز القرآن، ص145.

بكمال صفاته وأفعاله، وهو سبحانه وتعالى الخالق البارئ المصور الذي أبدا الخلق بعلم وقدرة وحكمة لا تحدها حدود ولا يفي بحقها وصف "[1].

" والمقصود من هذا الوجه وجود آيات في القرآن الكريم اتسع معناها ليتناول دقائق علمية ثابتة غير قابلة للنقد، لم يكتشفها العلماء إلا في وقت قريب ويستحيل في مثل هذه الحقائق أن تصدر عن رجل مثل محمد ﷺ، ظهر قبل أربعة عشرة قرنا في بيئة أمية، ولد وشب وشاب وعاش ومات دون أن يعرف ما القراءة وما الكتابة، دون أن يتتلمذ ولو مشافهة، على يد أحد من العرب أو العجم، بل إن العالم كله في هذا الوقت كان يسوده الركود العلمي فضلا عن معرفته لتلك العلوم العظيمة "[2].

" على الرغم من أن كتاب القرآن ليس كتاب علوم إلا أنه جاء بوصف شامل عن العالم المادي في صورة أصول وجوامع من العلم الدقيق الصحيح وساق الكثير من الحقائق العليمة التي لم يتوصل إليها إلا بعد مئات السنين من تنزيله "[3].

" ففي القرآن الكريم ما يزيد عن ألف آية تتحدث عن معالم هذا الكون، ونذكر مفرداته من السموات والأرض والشمس والقمر والكواكب والنجوم والجبال والبحار والأنهار والمطر والرعد والبرق... فإن كانت هذه الآيات قد ذكرت تلك المفردات في سياق لفت الأنظار "إلى مظاهر قدرة الله عز وجل في الخلق واستدلالا على تفرده سبحانه بالربوبية و الألوهية فإنه مع ذلك جاء بأسلوب وعبارة تفتح أمام العقل البشري آفاقا واسعة للتفكير في دلالاتها عبر العصور من بعد نزول القرآن "[4].

ذهب الكثير من العلماء القدماء والمحدثين إلى اعتبار القرآن معجزة علمية حيث رأوا أنه لا مانع من تفسير القرآن تفسيرا علميا، إذ أن آيات القرآن فيها من دقائق العلوم ما لا

---

[1] زغلول راغب محمد النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، دار المعارف، بيروت، لبنان،ط1، 1430هـ/ 2009م، ص 77.

[2] عبد الوهاب النجار، أسرار إعجاز القرآن ، ص319.

[3] مصطفى الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1982م، ص74.

[4] محمد السيد راضي جبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص303.

يحصى وأبرز هؤلاء العلماء الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) وكتابه (جواهر القرآن)، والإمام الرازي صاحب (التفسير الكبير) والإمام السيوطي في كتابيه (الإتقان في علوم القرآن ومعترك الأقران في إعجاز القرآن [1] .

ومن أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ**﴾ [الزمر: 6]، فالمفسرون الأقدمون يعدون هذه الظلمات الثلاثة ظلمات البطن والرحم والمشيمة، ويأتي على علم التشريح الحديث ليثبت بما لا يقبل الشك أن هذه الظلمات إنما هي أغشية ثلاثة تحيط بالطفل غشاء فوق غشاء، وهذه الأغشية لا ترى بالعين المجردة وهي المنباري والخربوتي واللفائفي[2].

ثالثا: أشهر العلماء الذين كتبوا في الإعجاز قديما وحديثا

شهدت قضية الإعجاز إقبالا كبيرا من قبل العلماء وأئمة البيان قديما وحديثا، فمنهم من تعرض لهذه القضية ضمن كلامه عن علوم القرآن ومنهم من أفردها بالبحث وشغلت جانبا من جوانب بحثه:

1- القدماء:

من أشهر العلماء الذين أفردوا قضية إعجاز القرآن بالبحث قديما:

أ- **الجاحظ:** وهو عمرو بن بحر المتوفي في (225هـ) وهو أول من كتب عن بعض المباحث المتعلقة بالإعجاز، وأفرد له كتابا سماه (نظم القرآن)، تكلم فيه عما يهيئ للكلام عند الإعجاز في القرآن.[3]

[1] فضل حسن عباس، إعجاز القرآن ، ص31

[2] المرجع نفسه، ص 31.

[3] مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن ، ص177.

ب- الواسطي: هو أبو عبد الله محمد بن يزيد المتوفي سنة (306هـ) ، كتابه (إعجاز القرآن) يعتبر أول كتاب وضع لشرح وبسط القول في هذا الموضوع و شرحه عبد القاهر الجرجاني شرحا كبيرا سماه المعتضد [1]

ج- الرُمَّاني: وهو أبو الحسن على بن عيسى المتوفي سنة (348هـ)، ألف كتابا في إعجاز القرآن بعنوان (النكت في إعجاز القرآن) تناول فيه قضية الإعجاز القرآني وفصل فيها.

د- الإمام الخطابي: أبي سليمان حمد بن محمد إبراهيم المتوفي سنة (388هـ)، يعتبر من أشهر الذين اهتموا ودرسوا الإعجاز القرآن وأفردوه بالبحث، فهو ممن ألفوا وكتبوا فيه على وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما إليهما، كتب في هذا الباب كتابه (بيان إعجاز القرآن).[2]

هـ- الباقلاني: وضع كتابه المشهور (إعجاز القرآن) الذي أجمع المتأخرون من بعده على أنه باب في الإعجاز وحده، سلك فيه أقرب الوسائل للكشف عن جوانب الإعجاز القرآني وتذوقه، ووفى بكثير مما قصد إليه من أمهات المسائل والأصول حتى عدوه كتابا وحده في هذا الفن، قال فيه أبو بكر بن العربي: لم يصنف مثل كتابه[3].

و- الجرجاني: و هو عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد المتوفي سنة (471هـ)، هو واضع أصول البلاغة، وضع كتابه (دلائل الإعجاز) والظاهر أنه بنى على ما أتى به الواسطي، لكنه تفوق عليه في كونه متذوقا لأسلوب القرآن حتى أنه أوشك أن يسبق عصره في بعض لمحاته الموفقة[4].

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و بلاغة النبوة، مر:درويش الجويدي، المكتبة العصرية،صيدا، بيروت،(د.ط)، 1424هـ/2003م، ص127.

[2] أبو الحسن الرماني، أبو سليمان الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح:محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3،(د. ت)، ص19.

[3] مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو،الواضح في علوم القرآن ، ص178.

[4] مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو،الواضح في علوم القرآن ، ص179.

2- المحدثون:

من أشهر العلماء الذين كتبوا في الإعجاز حديثا نذكر:

2-1- مصطفى صادق الرافعي : (1297هـ/1356هـ):

ألف في إعجاز القرآن كتابه (إعجاز القرآن) وهو كما قال مؤلفه:" كان هذا الكتاب مبحثا من مباحث كتابنا الكبير (تاريخ آداب العرب)، ثم أفردناه ليكون كتابا بنفسه تعم به المنفعة ويسهل على الناس تناوله"[1].

2-2- سيد قطب:

المتوفي سنة(1906م/1966م) وهو من خير من ألف وكتب في هذا الباب حديثا، ومؤلفاته من أروع الكتب، فقد عالج رحمه الله تعالى نواحي خاصة من إعجاز القرآن، فأبدع فيها وأجاد ومن خير آثاره في ذلك كتاب (التصوير الفني للقرآن) ففيه تخريجات ذكية واستنباطات سديدة وأفكار ناضجة في استلهام الجمال الفني القرآني بأسلوب مشوق جذاب[2].

[1] المرجع نفسه ، ص 179 .

[2] المرجع نفسه ، ص 179 .

خلاصة:

لما كثرت المطاعن في القرآن الكريم من قبل الكفار همت طائفة من أهل العلم للدفاع عنه، فألفوا العديد من الكتب لغاية رفع افتراءات المعارضين، ومن أهل المسائل التي اعتمدوها للدفاع عن القرآن والعقيدة هي مسألة الإعجاز .

يعتبر الإعجاز اللغوي أهم وجوه الإعجاز القرآني، فهو يتعلق باستخدام كلمات وعبارات القرآن وتركيب جمله، بحيث تكون واضحة ومفهومة ومختصرة، فتبرز من خلالها الفصاحة والبلاغة والبيان بصورة تبهر القارئ وتأسر عقله وقلبه، فهذا الوجه الإعجازي كان محل تحدي الله للعرب، فقد تحداهم صراحة في لغتهم، فعرب الجاهلية كانوا يمتازون بالفصاحة والبلاغة والسليقة، ومن أهم العلماء الذين درسوا قضية إعجاز القرآن أبو الحسن الرماني وأبو بكر الباقلاني .

سأتطرق في الفصلين المواليين لجهود كل من الرماني والباقلاني في البحث البلاغي.

الفصل الأول : مسائل الإعجاز اللغوي القرآني عند الرماني

أولا – نبذة عن حياة الرماني

ثانيا – وجوه الإعجاز القرآني عند الرماني

ثالثا – قضايا الإعجاز اللغوي القرآني عند الرماني

تمهيد:

الشيخ الرُماني من أعلام القرن الرابع الهجري، فعصره عصر تحديد علوم البلاغة، حيث شقت البلاغة طريقها واتخذت سبيلا لها، وأخذت ملامحها تتبلور وتتضح، و وامتزجت قضاياها بقضايا علوم القرآن طلبا لفهم وتحليل كتاب الله تعالى وتدبر آياته واستنباط أحكامه.

فمفهوم البلاغة القرآنية عنده كان مفهوما متكاملا سعي لإثباته وتطبيقه في رسالته، كما تطرق للبلاغة العربية في لإبراز إعجاز القرآن وسماه لأعلى طبقات البلاغة أي طبقة الإعجاز، وهذا من خلال مقارنة بلاغة العرب ببلاغة كلام الله.

فقد كانت البلاغة سابقا مجرد لمحات متناثرة وسط قضايا العلوم،ولم تستقى إلا بعد امتزاج علومها بقضية الإعجاز القرآني.

والملاحظ أن رسالة الرماني «النكت في إعجاز القرآن» صغيرة الحجم إلا أنها ثرية وغزيرة بالإشارات البلاغية، فلهذه الرسالة الأثر الجلي في مسار البحث البلاغي وكذا التأليف البلاغية، و في أوساط الكثير من البلاغيين والنقاد والمتكلمين الذين جاءوا من بعده، حيث نهلوا منها بعض القواعد، فهذه الرسالة كانت بمثابة المدخل والمنهل الذي يأخذون منه أبجديات هذا العلم وبداياته وملامحه، وتتجلى جهود الرماني اللغوية في حسن عرضه للبلاغة وحسن تقسيمها وربطها بالإعجاز القرآني، وسأتطرق في هذا الفصل إلى نبذة مختصرة عن حياته، ثم وجوه الإعجاز القرآني عنده، ثم قضايا الإعجاز اللغوي القرآني عنده.

أولا: نبذة عن حياة الرماني

1- الرماني (اسمه، ميلاده، وفاته):

هو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني النحوي المتكلم أحد الأئمة المشاهير جمع بين الكلام والعربية، وله تفسير القرآن الكريم، أخذ الأدب عن أبي بكر ابن دريد وأبي بكر بن السراج والزجاج وروى عنه أبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري وغيرهما، كانت ولادته ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين وتوفي ليلة الأحد حادي عشر جمادى الأولى سنة أربعة وثمانين وقيل اثنين وثمانين وثلاثمائة (382) رحمه الله تعالى، الرُمَّاني بضم الراء وتشديد الميم وبعد الألف نون، وهذه النسبة يجوز أن تكون إلى الرمان وبيعه، ويمكن أن تكون إلى قصر الرمان[1].

نشأ نشأة فقيرة واشتغل بطلب العلم واستعان على كسب قوته بالوراقة واللغة والنحو، تخرج في الكلام على يد أستاذه المعتزلي ابن الأخشيد يذكر أصحاب التراجم أن الرماني كان محبا للعلم واسع الاطلاع متقنا للأدب وعلوم اللغة والنحو، لذلك لقب بالنحوي المتكلم شيخ العربية وصاحب التصانيف، كان إلى جانب ذلك ميالا إلى علوم المنطق والفلسفة والنجوم، ويبدو أثر هذه العلوم في تصانيفه وأسلوب تأليفه، وبرع في علوم القرآن والتفسير وألف فيها، وكانت له مشاركة في الحياة العامة في بغداد وفي أحداثها السياسية الهامة، وكان محبوبا ومقدرا عند العامة والخاصة[2].

2- مكانته العلمية:

تظهر مكانته العلمية فيما كتبه عنه معاصره أبو حيان التوحيدي، إذ قرر أنه لم ير مثله قط علما بالنحو وغزارة في الكلام وبصرا بالمقالات واستخراجا للعويص وإيضاحا

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، مجلد 3،(د. ت)، ص299.
[2] الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص10.

للمشكل، مع تأله وتنزه ودين ويقين وفصاحة وفكاهة و عفافة ونظافة، قال عنه ابن سنان «إنه ذو مكان مشهور في الأدب»[1].

3- العلماء الذين كتبوا ونقلوا عنه[2]:

تبدو أهمية كتابات الرماني في المكان الذي تشغله آراؤه في تأليف من جاءوا بعده، فالكثيرون منهم ينقلون عنه بالتطويل أو الاقتصار دون ذكر اسمه أحيانا، وربما ناقشوا منزعه في الإعجاز بوجه عام، أو تعقبوه في أبواب البلاغة موافقين أو مخالفين، فمنهم نذكر: الباقلاني في كتابه " إعجاز القرآن "، وابن رشيق في " العمدة "، وابن سنان في " سر الفصاحة "، والسيوطي في "الإتقان في علوم القرآن"، وابن الإصبع في "بدائع القرآن"، وأبو هلال العسكري في " الصناعتين" ، وابن الأثير في " المثل السائر".

4- مؤلفاته:

تذكر المصادر أن له ما يقارب المائة مؤلف أهمها: التفسير الكبير، الجامع في علوم القرآن، النكت في إعجاز القرآن، وألفات القرآن، شرح معاني القرآن للزجاج، شرح كتاب المدخل والمقتضب للمبرد، الاشتقاق الكبير، شرح كتاب سيبويه، أغراض كتاب سيبويه، المسائل المفردة من كتاب سيبويه، شرح المسائل للأخفش، شرح الألف واللام للمازني، شرح كتاب الموجز والأصول لابن سراج، التصريف، الهجاء، كتاب في النحو، الاشتقاق الصغير والألفاظ المترادفة[3].

ثانيا: وجوه الإعجاز القرآني عند الرماني:

كتب الرماني رسالته " النكت في إعجاز القرآن " ردا وجوابا على سؤال شخص طلب منه تفسير هذه النكت بإيجاز، والغاية من هذه الرسالة هي الدفاع عن القرآن الكريم، وإبراز وجوه الإعجاز التي تعد دليلا على الإعجاز القرآني.

---

[1] الرماني، الخطابي، الجرجاني،النكت في إعجاز القرآن ، ص10.

[2] المرجع نفسه ، ص ص164- 188.

[3] المرجع نفسه، ص ص10 -11.

حدد لنا الرماني مفهومه للإعجاز القرآني من خلال رسالته الأدبية البلاغية القيمة، التي تعكس لنا تخصصه العلمي ومفهومه الاستدلالي التحليلي في توصيل أفكاره، فهو يوضح في بداية رسالته أن وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات هي: (ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، التحدي للكافة، الصرفة، الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، نقض العادة، قياسه بكل معجزة، البلاغة).[1]

الآن أنتقل إلى بيان وشرح هذه الوجوه كما شرحها الرماني:

1- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة:

إن: " توفر الدواعي يوجب الفعل مع الإمكان لا محالة في واحد كان أو جماعة، والدليل على ذلك أن إنسانا لو توفرت دواعيه إلى شرب الماء بحضرته من جهة عطشه واستحسانه لشربه، وكل داع يدعو إلى مثله وهو مع ذلك ممكن له، فلا يجوز ألا تقع شربة منه حتى يموت عطشا لتوفر الدواعي على ما بينا فإن لم يشربه مع توفر الدواعي له دل ذلك على عجزه عنه، فكذلك توفر الدواعي إلى المعارضة على القرآن ما لم تقع المعارضة دل ذلك على العجز عنها "[2].

2- التحدي للكافة:

فالقرآن تحدى العرب على أن يأتوا بمثله وقرعهم على ذلك، " فهو أظهر في أنهم لا يجوز أن يتركوا المعارضة مع توفر الدواعي إلا للعجز عنها ".[3] لكنهم عجزوا، فتركهم للمعارضة مع توفر الدواعي التي توجب الفعل مع الإمكان لا محالة هو دليل عجزهم عن مجاراة القرآن وعن تحديه والإتيان ولو بسورة من مثله.

---

[1] أبو الحسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تح:محمد خلف الله ومحمد زغلول إسلام، دار المعارف، القاهرة، مصر،ط3، د.ت، ص 75.

[2] المرجع نفسه، ص109.

[3] المرجع نفسه، ص110.

3- الصرفة:

تعني أن الله تعالى منع الناس عن معارضة القرآن فقد جعل هممهم غير متعلقة بتلك المعارضة يقول الرماني: " وهي صرف الهمم عن المعارضة وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن معارضته، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة "[1]، مما يعني أنَّ الناس لو توجهوا إلى الإتيان بمثل القرآن ولم يمنعهم الصرف لتمكنوا منه.

4- الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة:

يقول الرماني: " عندما اتضح أنه لا يجوز أن تقع على الاتفاق دل على أنها من عند علام الغيوب الله عز وجل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**﴾ [الأنفال:7]، فكان الأمر كما وعد من الظفر بإحدى الطائفتين: وهي العير التي كان فيها أبو سفيان أو الجيش الذين خرجوا يحمونها من قريش، فأظفرهم الله عز وجل بقريش يوم بدر على ما تقدم به الوعد "[2].

كما استشهد الرماني بمجموعة من الآيات القرآنية التي تضمن إخبارا عن بعض الحوادث المستقبلة نذكر منها:

إخباره بانتصار الروم بعد هزيمتهم المنكرة أمام الفرس وذلك في قوله تعالى: ﴿**الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴾ [الروم: 1-3]، فتحقق ذلك في أقل من عشرين عام وانتصرت الروم على الفرس[3]، ومن آياته أيضا قوله عز وجل:﴿ **لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: 27].

5- نقض العادة:

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص110.

[2] المرجع نفسه، ص110.

[3] محمد بن السيد راضي جبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص288.

يقول: " إن العادة جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب والرسائل ومنها المنثور الذي يدور بين الناس، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة ولولا أن الوزن يحسن الشعر لنقصت منزلته في الحسن نقصانا عظيما، لو عمل عامل من الكتاب باليد من غير آلة حفٍّ ما يفوق الدبيقي في اللين والحسن حتى لا يشك من رآه أنه أرفع الثياب الدبيقية التي بلغت في الحسن النهاية لكان معجزا، ولذلك من حاء بغير الوزن المعروف في الطباع، والذي من شأنه تحسين الكلام بما يفوق الموزون فهو معجز"[1].

فالرماني هنا أقام مقارنة بين كلام الله وكلام العرب من شعر ونثر، فالقرآن جاء في أعلى طبقات البلاغة حيث أتى بطريقة متفردة وخارجة عن العادة ولها منزلة رفيعة تفوق بها كل طريقة، وهذا معناه أن الناس عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن كونه أتى بأسلوب أعجزهم وتجاوز ما ألفوه، رغم براعتهم في الشعر وغيره من أصناف الكلام.

6- قياسه بكل معجزة:

يقول الرماني:" يظهر إعجازه من هذه الجهة، إذ كان سبيل فلق البحر وقلب العصا حية وما حرى هذا المجرى في ذلك سبيلا واحدا في الإعجاز، وإذا خرج عن العادة وقعد الخلق فيه عن المعارضة فإن قال قائل فلعل السور القصار ممكن للناس، قيل له لا يجوز ذلك من قبل أن التحدي قد وقع بها فظهر العجز عنها، وذلك. في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾ [البقرة: 23][2].

فالله عندما أرسل أنبياءه لأقوامهم تحداهم فيما هم فيه يبرعون وهكذا كان الأمر في معجزة النبي ﷺ القرآن الكريم، فالقرآن تحدى العرب في لغتهم وهذا بخروجه عن عادة ما ألفوه، فقد تحداهم أن يأتوا ولو بسورة من مثله لكنهم لم يستطيعوا، فوقع التحدي وثبت عجزهم.

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص111.

[2] المرجع نفسه، ص111.

7- البلاغة:

ونرجئ الحديث عنها إلى المبحث الموالي المعنون ب: قضايا الإعجاز اللغوي القرآني عند الرماني.

ثالثا: قضايا الإعجاز اللغوي القرآني عند الرماني

يعتبر الرماني أحد المتذوقين للبلاغة القرآنية فقد اختص اهتمامه بالبلاغة وحدها من بين الوجوه السابق ذكرها، فالبلاغة عنده على ثلاثة طبقات[1]:

أ- أعلى طبقة: بلاغة القرآن.

ب- أدنى طبقة: بلاغة البلغاء من الناس.

ج- الوسائط: بين أعلى طبقة وأدنى طبقة.

فالرماني لا يرى أن البلاغة تقتصر على إفهام المعنى، فالمعنى قد يفهمه متكلمان أحدهما بليغ والآخر عِيٌّ، ولا هي بتحقيق اللفظ على المعنى.

فالبلاغة عنده هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كإعجاز الشعر المفحم فهذا معجز للمفحم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة [2].

وهنا بعث من جديد قضية اللفظ والمعنى، فلا يمكن الوصول للجمال والحسن البلاغي إلا بانتظام الألفاظ والمعاني، والسعي لإيصال هذه المعاني للقلب في أحسن وأجود صورة من الألفاظ.

قسم الرماني البلاغة القرآنية إلى عشرة أقسام وهي:الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان ، فهذه الأقسام العشرة للبلاغة منها ما يعنى بالجوانب اللفظية: كالتلاؤم والفواصل والتجانس

[1] الرماني النكت في إعجاز القرآن ، ص 75.

[2] المرجع نفسه ، ص76.

والتضمين والتصريف، ومنها ما يعنى بالمعاني والصور البيانية: كالإيجاز والتشبيه والاستعارة والمبالغة وحسن البيان.

كما خصص الرماني لكل قسم من هذه الأقسام بابا ذكر فيه خصائصه وحدد سماته البلاغية واستخلص فيه قواعده واستشهد له بالآيات القرآنية ليثبت إعجاز القرآن من خلاله، وقد رتبها كما يأتي:

1- الإيجاز:

يعرفه الرماني قائلا: " الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أنه يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز"[1].

1-1- أنواع الإيجاز:الإيجاز عند الرماني على نوعين[2]:

أ- **إيجاز حذف:** هو إسقاط كلمة للاجتراء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام.

ب- إيجاز قصر: فهو بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف.

وإيجاز الحذف عنده على نوعين كما هو موضح في الأمثلة التي استشهد بها: **حذف المضاف:** كقوله تعالى: ﴿ **واسْأَلْ القَرْيَةَ**﴾ [يوسف: 82]، التقدير هنا اسأل أهل القرية، وقوله تعالى: ﴿ **لَكِنَّ البِرَّ مَنْ اتَقَى** ﴾ [البقرة: 189] التقدير هنا خصلة من اتقى.

وحذف الأجوبة: هو أبلغ من الذكر، وما جاء منه في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾ [فصلت: 44]، حذف فيها جواب الشرط والتقدير لولا فصلت آياته لآمنا، وقوله تعالى: ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ [الزمر: 73]، جواب الشرط محذوف والتقدير يحصلوا على النعيم.

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 76.

[2] المرجع نفسه ، ص ص 76- 77.

يرى الرماني أن الإيجاز بالقصر دون الحذف أغمض من الحذف، وإن كان الحذف غامضا للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح قال تعالى ﴿ **وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ [البقرة: 179]، فهذه الآية رغم قلة حروفها إلا أنها تضمنت معانٍ كثيرة من خلال لفظة قصاص التي تشمل عدة معان منها الضرب والجرح والقتل (العمد والخطأ) والدفاع عن النفس وغيرها من المعاني.

ولكي يبين الرماني روعة الإعجاز القرآني من حيث الإيجاز وازن بين قول العرب (القتل أنفى للقتل) وبين قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾، فبين لفظ العرب ولفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز وذلك. يظهر لنا من خلال أربعة أوجه[1]:

أ- الكثرة في الفائدة: فقول العرب (القتل أنفى للقتل) فيه زيادة معانٍ حسنة منها: إبانة العدل لذكره القصاص، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به.

ب- الإيجاز في العبارة: فالذي هو نظير قول (القتل أنفى للقتل) هو قوله تعالى (القصاص حياة)، فعدد الأحرف في قول العرب أربعة عشر حرفا أما في قوله تعالى فعشرة أحرف.

ت-بعده عن الكلفة بالتكرير: الذي يكون فيه مشقة على النفس، وذلك من خلال قول العرب (القتل أنفى للقتل) فهذا القول به تكرار غيره أبلغ منه ومتى كان التكرار كذلك فهو مقصر في باب البلاغة عن أعلى طبقة.

ث-الحسن بتأليف الحروف المتلائمة: فهو مترك بالحس وموجود في اللفظ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام في قوله تعالى:﴿ **وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ أعدل من الخروج من حرف اللام للهمزة في قول العرب (القتل أنفى للقتل) وهذا لبعد الهمزة عن اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام.

فمن خلال هذه الوجوه بين لنا الرماني دقة المعاني القرآنية ومدى إعجازها البلاغي الذي يبينه الإيجاز فظهور هذه الوجوه يكون باجتماع عدة أمور يظهر بها للنفس أن الكلام

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص78.

من البلاغة في أعلى طبقة، قال على رضي الله عنه:« قيمة كل امرئ ما يحسن فهذا كلام عجيب يغني ظهور حسنه عن وصفه»، فإذا انتظم الكلام حتى يكون كأقصر سورة أو أطول آية ظهر حكم الإعجاز[1].

لخص الرماني آراءه حول صور التعبير عن المعاني فقال: "الإيجاز بلاغة والتقصير عِيٌّ والإطناب بلاغة والتطويل عي، والإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول، وليس كذلك التقصير لأن لابد فيه من الإخلال، فأما الإطناب فإنما يكون في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل، فإن لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعا يكون به أولى من الآخر، لأن الحاجة إليه أشد والاهتمام به أعظم، فأما التطويل فعيب وعِيٌّ، لأنه تكلف فيه الكثير فيما يكفي منه القليل، فكان كالسالك طريقا بعيدا جهلا منه بالطريق القريب، وأما الإطناب فليس كذلك لأنه كمن سلك طريقا بعيدا لما فيه من النزهة الكثيرة والفوائد العظيمة "[2].

والملاحظ هنا أنا الرماني قارن بين صور التعبير الأربعة وهذا لغاية إظهار البليغ منها من العِي، فاعتبر الإيجاز والإطناب بلاغة، وهذا كون المعنى من خلالهما لا يختل، أما التقصير والتطويل فاعتبرهما عيب وهذا لاختلال المعنى من خلالهما.

1-2- أوجه الإيجاز: قسم الرماني الإيجاز في رسالته إلى وجهين هما[3]:

أ- إظهار النكتة بعد الفهم لشرح الجملة: هذا الوجه يكون كثيرا في العلوم القياسية وذلك أن فهم شرح الجملة كفى بعد ذلك حفظ النكتة لأنها تكون حينئذ دالة ومغنية عن التعلق بها في نفسها، لتعلق النكتة بها فهذا ضرب من الإيجاز لا يكون إلا بعد أحوال متقررة من الفهم لشرح الجملة.

ب - إيجاز إحضار المعنى بأقل ما يمكن من العبارة.

---

[1] الرماني،النكت في إعجاز القرآن، ص 77

[2] المرجع نفسه، ص 79.

[3] المرجع نفسه ، ص79.

1-3- طرق الإيجاز: يذكر لنا الرماني ثلاث طرق للإيجاز وهذا من خلال قوله: "والإيجاز على ثلاثة أوجها لإيجاز بسلوك الطريق الأقرب دون الأبعد وإيجاز باعتماد الغرض دون ما تشعب وإيجاز بإظهار الفائدة بما يستحسن دون ما يستقبح، لأن المستقبح ثقيل على النفس، فقد يكون للمعنى طريقان أحدهما أقرب من الآخر"[1]، أي أن طرق الإيجاز عنده كما يلي:

أ- أن يكون سبيلك إلى المعنى أقصر الطرق إليه فالفكرة الواحدة قد تتعد طرق أدائها ويكون بعض هذه الطرق أقصر بيانا وأيسر سبيلا والعارف برياضة المعاني هو الذي يدرك أقصرها فيصل إلى لب المعنى من أقصر طريق، لأنه يعرف كيفه يسدد وهذا إنما يكون للذهن الثاقب الذي يحيط بالجوانب إحاطة كاشفة ، ويراها رؤية ساطعة فستحقق له مراده، وهناك بين المتكلمين من يقصر ذهنه فيرى الفكرة بعيدة ملفعة بالضباب فتتفرق به السبل إليها ويلتات عليه أيسرها فتراه يمد حبل الكلام مدا يجتذب به المعنى ويدنيه، ثم تراه لا يستطيع ذلك والإدراك الصحيح هو الذي ييسر الطريق إلى المعنى وكأن المعاني حين تشرق في القلوب تضيء طريقها فينالها التعبير في يسر، فالكلام يتطاول حين تتقاصر الأفهام ويتقاصر حين تتمكن". [2]

ب- إيجاز باعتماد الغرض دونما تشعب وهو الإيجاز الذي يعتمد على حذف المقدمات وهدف إلى الدخول في الموضوع من أول الأمر فقد اعتمد الناس على التوطئة والتمهيد لكثير من المعاني التي يحرصون على تهيئة النفوس لها ثم إن الكلام قد تتخلله معان جانبية يحتاج إليها المعنى الأصلي، والإيجاز هو الاقتصار من هذه المعاني قدر المستطاع، ثم هي خطر على الكلام يفقده التركيز والتجانس ولابد أن يكون الكلام دائما متجها إلى المعنى الأساسي، وهذا النوع من الإيجاز حذر بعض الشيء كون المقدمات التي تهيء النفوس لقبول المعنى قد يكون بعضها كالأغراض فيفسد الكلام بحذفه، والموضوعات الجانبية التي

[1] الرماني،النكت في إعجاز القرآن ، ص79.

[2] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبية ، مصر، ط2، 1418هـ/1997م، ص94.

تتخلل الأغراض قد يكون بعضها ضروريا في إقامة المعنى وبناء هيأته، فلا مناص للمتكلم من أن يكون ذا بصر بما هو ضروري فيحفظه، وبما يمكن أن يقوم الكلام بدونه فيحذفه، فقد يكشف الغرض شعب كثيرة كالتشعيب قبل المديح وكالصفات لما يعترض الكلام مما ليس عليه الاعتماد، فهو أراد الإفاضة في بيان المعاني المعترضة وصفاتها[1].

ج- إظهار الفائدة بما يستحسن دون ما يستقبح لأن المستقبح ثقيل على النفس فقد يكون للمعنى طريقان أحدهما أقرب من الآخر.

هذا النوع من الإيجاز" لا يتعلق بالألفاظ قلة وكثرة إنما يتعلق بموقع الكلام في النفس وإحساسها به خفة وإقبالا وإعراضا وتعاطفا أو ازورارا، الأساليب المتعثرة المستكرهة ليست من الإيجاز وإن قلت ألفاظها لأنها ثقيلة متراخية تمس القلب مسا كريها بطيئا، والأساليب العذبة الصافية من الإيجاز وإن كانت ألفاظها أكثر من الأولى، وليس وهذا الوجه الذي يلتفت إلى كم الألفاظ خارجا عن الإيجاز الذي هو الاقتصاد في استعمال الكلمات، لأن حسن الأسلوب وخفته على النفس لا يتوفر له إلا إذا كان نقيا من الأخلاط غير مترهل ولا ممدود"[2].

وهذا الوجه من وجوه الإيجاز نابع من الإيجاز اللغوي لأن الملاحة والعذوبة والحسن صفات يخف بها الكلام على القلوب ويكون طيب الوقع في النفوس وتتقبله الصدور.

يتميز الإيجاز عند الرماني بسمو مراتبه وفضيلته على سائر الكلام، وعلوه على غيره من أنواع البيان، حيث بيَّن فوائده بقوله: "الإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما

[1] محمد محمد أبو موسى،الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، ص94.

[2] المرجع نفسه ، ص 95.

يمكن من الألفاظ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير، والإيجاز الإكثار إنما هما في المعنى الواحد"[1].

اعتبر الرماني الإيجاز بابا من أبواب البلاغة القرآنية عنده، لم يجمعه بالإطناب فقد أشار في آخر كلامه عن الإيجاز للإطناب وهذا من خلال ذكره الفرق بين الإطناب والتطويل حيث اعتبر الإطناب بلاغة والتطويل عيب، فالإطناب هو تفصيل المعنى بتتبع جزئياته والبحث عن أعطافه وتفصيل ما كان مجملا، حيث قال مشيرا للإطناب:" قد يطول الكلام في البيان عن المعاني المختلقة وهو مع ذلك في نهاية الإيجاز وإذا كان الإطناب لا منزلة إلا ويحسن أكثر منها بالإطناب حينئذ إيجاز كصفة ما استحقه الله تعالى من الشكر على نعمه "[2].

يفهم من كلام الرماني أن الكلام قد يطول في البيان لكنه بالرغم من يكون في غاية الإيجاز وهذا راجع لكون بعض المعاني لا يكفيها البيان مهما طال ولن يحصر معناها ولن يستوفيه، فهذه الأجناس من المعاني لا يمكن وصف أساليبها بالإطناب إنما هي إيجاز دائما وذلك كما في المعاني القرآنية فهي رحبة دائما وخاصة ما كان منها موصوفا بأوصاف ذي الجلال سبحانه والثناء عليه وتنزيهه وتسبيحه[3].

فالرماني في باب الإيجاز، كان حريصا على إظهار مدى تفوق البلاغة القرآنية على بلاغة كلام العرب، فكلام الله خال من كل تقصير وتطويل، مليء بالإيجاز الذي لا يخل بالمعنى بينما كلام العرب كان فيه من التقصير مما يخل بالمعنى ويلبسه ثوب الرداءة.

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص 80.

[2] المرجع نفسه، ص80.

[3] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، ص96.

2- التشبيه:

فالرماني اتجه اتجاها جديدا غير مهتم بما جاء به السابقون فمن خلال هذا الاتجاه برزت شخصيته واتضحت نظرته المتجددة للتشبيه والتي كانت محل اهتمام العلماء والأدباء من بعده.

فهو في باب التشبيه: "لم يكن متأثرا بأسلافه الذين تناولوا التشبيه في إفاضة مثل المبرد(ت285) الذي لاحظ أن تشبيهات العرب أربعة أضرب: مفرط، ومصيب، مقارب، وبعيد، وقد تبعه في ذلك أبو أحمد العسكري (ت382) كذلك لم يعبأ بما ذكره ابن طباطبا (ت322) ومن ألوان التشبيه في الهيئة أو الحركة أو اللون أو الصورة أو المعنى"[1].

ويعرف الرماني التشبيه قائلا" التشبيه هو العقد على أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس"[2].

"ويبدو أن تعريف الرماني جامع مانع كما يقول أهل المنطق، إذ إبان فيه وجوه الالتقاء بين المشبه والمشبه به في العقل أو الحس، وهما اللذان يحكمان في المشاركة بين الشيئين في أمر ما، وهذا التشبيه إما أن تدل عليه دلالات قولية أو إيحاءات نفسية"[3].

فمن خلال تعريفه للتشبيه نلاحظ أنه ربطه بالحس والعقل أو النفس فيقول "منه ما هو حسي كماءين وذهبين يقوم أحدهما مقام الآخر ونحوه، ومنه ما هو نفسي نحو تشبيه قوة زيد بقوة عمرو فالقول لا تشاهد لكنها تعلم". [4]

وهذا يعني أن التشبيه الحسي عنده ما كان طرفاه حسيان نحو تشبيه ذهب بذهب والنفسي أو العقلي ما كان طرفاه معنويين.

---

[1] عبد القادر حسين، القرآن والصور البيانية، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1405هـ/1985م، ص28.

[2] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص80.

[3] محمد حسين علي الصغير، أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/1999م، ص76.

[4] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص81.

2-1- أقسام التشبيه:

يقسم الرماني التشبيه إلى قسمين هما: تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما :كتشبيه الجوهر بالجوهر وتشبيه السواد بالسواد، تشبيه شيئين مختلفين لمعنى مشترك بينهما :كتشبيه الشدة بالموت والبيان بالسحر الحلال.

وفي وسط كلامه عن التشبيه أتى على ذكر التشبيه البليغ إذ عرفه قائلا " فالتشبيه البليغ يتحقق عنده في إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف وهذا الباب يتفاضل فيه للشعراء وتظهر فيه بلاغة البلغاء وهذا التشبيه هو الذي يكسب الكلام بيانا عجيبا "[1].

فالملاحظ هنا أن الرماني وضح لنا أن التشبيه البليغ باب من الأبواب التي يتفاضل فيه الشعراء وتظهر من خلاله بلاغة البلغاء، فبالتشبيه يكتسب الكلام بيانا عجيبا.

حيت جعل الرماني وجه الشبه في خدمة التشبيه لأنه يكسب الطرفين بيانا .ويعمل على تخطيه من الغموض إلى الوضوح ." فالتشبيه البليغ إذن عند الرماني ليس كما هو معروف عند المتأخرين بأنه التشبيه محذوف الأداة، وإذا اقترن بها خرج عن هذه الدائرة وتجرد من صفة البلاغة والحسن، بل التشبيه القبيح عند الرماني هو الذي لا تتوفر فيه صفة الخروج من الأغمض إلى الأظهر"[2].

مما يعني أن الرماني لا ينظر إلى جمال التشبيه وبلاغته نظرة منفصلة عن بقية أجزاء الكلام، فالتشبيه وحدة شاملة ومتكاملة،لا تظهر قيمته إذا كان منفصلا عن بقية الأجزاء الأخرى، إنما تظهر بتوافق واتصال أجزائه، ويكون كل لفظ يخدم الأخر ويزيده حسنا وجمالا.

2-2- أنواع التشبيه:

يجعل الرماني التشبيه على نوعين:

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص81.

[2] عبد القادر حسين، القرآن و الصور البيانية ، ص29.

أ- التشبيه الحقيقي: نحو هذا الدينار كهذا الدينار فخذ ما شئت.

ب- التشبيه البلاغي: كتشبيه أعمال الكفار بالسراب.

2-3- أوجه التشبيه البلاغي:

يذكر الرماني بعض التشبيهات الواردة في القرآن منبها لما فيه من البيان بحسب الإمكان منها:

أ- **إخراج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة:**أن تتوفر فيه صفتي الوضوح والبيان حتى يزول عنه الشك ويتبدد في نفوس المرتابين فمن ذلك قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [النور: 39]، تكلم عن وجه الشبه قائلا فهذا البيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة، لو قيل الظمآن أشدّ حرصا عليه وتعلق قلبه به ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصير إلى عذاب الأبد في النار أعوذ بالله من هذا الحال ,وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيهات فكيف إذا تضمن مع ذلك النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الإفادة وصحة الدلالة"[1] .

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيد**﴾ [إبراهيم: 18] فهذا بيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه , فقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعظم انتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات، وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة "[2] ، الملاحظ هنا أن الرماني أبرز وجه التشبيه الذي يجمع بين الشبه والمشبه به لم يذكره باسم" وجه الشبه" بل ذكره باسم الجامع في قوله " اجتمع " .

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص82.

[2] المرجع نفسه، ص 82.

ب- إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة: أي توفره على عنصر الطرافة والغرابة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأعراف:171] فالمشبه والمشبه به هنا اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة وفيه أعظم آية لمن تفكر في مقدورات الله تعالى عند مشاهدته لذلك أو علمه به ليطلب الفوز من قبله، وينال المنافع بطاعته، ومن ذلك أيضا قوله عز وجل: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُه**﴾ [الحديد:20] فالمشبه والمشبه به هنا اجتمعا في شدة الإعجاب ثم في التغيير بالانقلاب وفي ذلك احتقار للدنيا والتحذير من الاغترار بها والسكون إليها"[1].

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَام**﴾ [يونس: 24]. "هذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به، وقد اجتمع المشبه بالمشبه به في الزينة والبهجة ثم الهلاك بعده، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر والموعظة لمن تفكر في أن كل فان حقير وإن طالت مدته وصغير إن كبر قدره"[2].

ج- إخراج مالا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم: ويقصد به التقريب كقوله تعالي:﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الجمعة: 5] ، علق الرماني على هذه الآية قائلا: " وهذا التشبيه قد أخرج مالا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم ، وقد اجتمعا في الجهل بما حملا وفي ذلك العيب لطريقة من ضيع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية "[3].

---

[1] الرماني،النكت في إعجاز القرآن ، ص84.

[2] عبد القادر حسين ، القرآن و الصور البيانية ، ص 30.

[3] المرجع نفسه، ص30.

وقوله تعالى:﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الحديد: 21] في هذا البيان العجيب بما قد تقرر في نفس الإنسانية من الأمور والسوق إلى الجنة بحسن الصفة مع مالها من السعة وقد اجتمعا في العظم.

د- إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ماله قوة فيها: يراد بهذا الوجه المبالغة في التشبيه فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ** ﴾ [الرحمٰن: 24]، قال في هذا الوجه:" أخرج مالا قوة له في الصفة إلى ماله قوة فيها وقد اجتمعا في العظم إلا أن الجبال أعظم وفي ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها، وما في ذلك من الانتفاع بها وقطع الأقطاع البعيدة فيها ". [1]

الرماني في كل شاهد من شواهده يضع أيدينا على وجه الشبه ويحلله تحليلا واضحا وصادقا حتى يبين لنا الجهة الجامعة بين الطرفين (المشبه والمشبه به) ولا يهمه بعد ذلك إذا كان وجه الشبه عقليا أو حسيا، وإنما القصد عنده أن تتوافر في التشبيه إحدى الصفات المشروطة من إيضاح أو غرابة أو تقريب أو مبالغة، سواء توافر هذا في التشبيه الحسي أو العقلي فكلاهما يصل بذلك إلى درجة البلاغة[2].

والملاحظ على الرماني أنه في هذا الباب لم يهتم بنظرة من سبقه وإنما اتجه اتجاها جديدا خالف فيه من سبقه إليه، فبرزت لنا شخصيته واتضحت كل الوضوح، وهذا من خلال نظرته المتجددة للتشبيه والتي كانت محل اهتمام العلماء والأدباء من بعده، حيث نراهم يأخذون بأقواله في هذا الباب وقد يضيفون إليها آراء غيره فمنهم أبو هلال العسكري وابن طباطبا[3] ، فمن خلال نظرة الرماني المعمقة للتشبيه تجلت لنا قيمته البلاغية ، كما فتح ومهد الرماني لغيره من الباحثين طريق البحث البلاغي، وتميز بكثرة شواهده القرآنية وهذا لغاية إبراز إعجاز القرآن.

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص85.

[2] عبد القادر حسين، القرآن و الصور البيانية ، ص 31.

[3] المرجع نفسه، ص28.

3- الاستعارة:

كان لابد للرماني أن يواجه الاستعارة ويتأمل قدرتها على التأثير في المتلقي للنص القرآني فهي فن من فنون البلاغة وهي ضمن أقسامها العشرة لديه، يعرفها الرماني قائلا: "الاستعارة تعليق التعبير على غير ما وع له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"[1].

كما ورد في مفتاح العلوم:" أن حدها عند بعضهم تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة، وعند الأكثر جعل الشيء لأجل المبالغة في التشبيه، كقولك:رأيت أسدا في الحمام، وجعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه كقولك: لسان الحال "[2].

ومعنى هذا التعريف أن الكلمة في الاستعارة قد وضعت لإرادة معنى جديد وهو غير المعنى الذي وضعت له في أصل اللغة قصد إبانة المعنى وإيضاحه، والمقصود من إبانة المعنى هنا هو استحداث معنى جديد من اللفظ غير المعنى الذي أطلق لأجله.

3-1- أركان الاستعارة:

الأركان التي تقوم عليها الاستعارة ثلاثة وهي: المستعار: وهو اللفظ المنقول، أي ما ينقل عن أصل لفرع للبيان، ومستعار له: وهو المشبه، ومستعار منه: وهو المشبه به.[3]

المستعار: وهو اللفظ المنقول، أي ما ينقل عن أصل لفرع للبيان، ومستعار له: وهو المشبه، ومستعار منه: وهو المشبه به.

[1] الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ص 85.

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ/ 1983م، ص384.

[3] عبد القادر حسين ، القرآن و الصور البيانية ، ص172.

يقول الزركشي في هذا الباب:" لا بد في الاستعارة من ثلاثة أصول: مستعار ومستعار منه وهو اللفظ ومستعار له وهو المعنى"[1].

3-2- الفرق بين الاستعارة والتشبيه:

فرق الرماني بين الاستعارة والتشبيه من خلال قوله: "والفرق بسن الاستعارة والتشبيه أن ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله لم يغير عنه في الاستعمال، وليست كذلك الاستعارة، لأن مخرج الاستعارة مخرج ما ليست له في أصل اللغة"[2].

مما يعني أن التشبيه هو عقد علاقة بين شيئين اتفقا في صفة ما وأن ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله في اللغة ولم يغير عنه في الاستعمال، أما الاستعارة فهي على خلاف ذلك لأن الكلمة فيها توضع لإرادة معنى غير المعنى الذي وضعت لأجله، مما يعني أن مخرج الاستعارة مخرج ما ليست له في أصل اللغة.

" والاستعارة تغاير التشبيه وإن كانت مبنية عليه، فأركان التشبيه أربعة: مشبه ومشبه به وأداة تشبيه ووجه شبه، والاستعارة لا بد فيها من حذف وجه الشبه والأداة، أما المشبه والمشبه به فلابد من حذف أحدهما، أي لا يبقى في الاستعارة من أركان التشبيه إلا طرف واحد: المشبه به (المستعار منه)، أو المشبه (المستعار له)"[3].

3-3- بلاغة الاستعارة:

يقول الرماني: "كل استعارة بليغة هي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه، إلا أنه بنقل الكلمة والتشبيه بأداته الدالة عليه في اللغة"[4] ، فالاستعارة لا تكون بليغة إلا إذا تجاوزت المعنى الحقيقي وزادت عليه.

تناول الرماني الخصائص الفنية للاستعارة كمقدمة لدراسة هذا الفن القولي في القرآن الكريم حيث قال:" وكل استعارة حسنة فهي توجب بيان لا تنوب منابه الحقيقة، وذلك أنه لو

---

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ص894.

[2] الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ص86.

[3] عبد القادر حسين، القرآن و الصور البيانية ، ص 173.

[4] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص86.

كانت تقوم مقامه الحقيقة كانت أولى به ولم تجز الاستعارة، وكل استعارة لا بد لها من حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة "[1].

ينص الرماني صراحة على أن أسلوب الاستعارة أقوى وأبلغ من أسلوب الحقيقة، ولو كانت الاستعارة تؤدي نفس المعنى الذي تؤديه الحقيقة لكانت الأولوية في التعبير للحقيقة، فالاستعارة عند الرماني تتميز بزيادة البيان، وهذا الأخير لا وجود له عند التعبير بالحقيقة، فكل استعارة لا بد لها من حقيقة بها نتمكن من الإشارة للأسلوب أنه استعارة[2].

تتميز الاستعارة عنده بزيادة البيان الذي لن يحضر عند التعبير بالحقيقة فالتعبير بالاستعارة أبلغ من التعبير بالحقيقة، ولو كانت الاستعارة تؤدي نفس المعنى الذي تؤديه الحقيقة، لكان التعبير بالحقيقة أجدى.

وقد ضرب الرماني مثالا لبيان فضل التعبير بالاستعارة على التعبير بالحقيقة من خلال قول امرئ القيس في وصفه للفرس حين قال (قيد الأوابد) فالحقيقة هنا (مانع الأوابد)، فعبارة قيد الأوابد أبلغ وأحسن من عبارة مانع الأوابد[3]، فوعينا لحقيقة الكلام دليل على أن الأسلوب ليس بحقيقة أي أنه ضرب من ضروب المجاز.

بين لنا الرماني فضل الاستعارة بمجموعة من الشواهد القرآنية تبلغ أربعة وأربعين شاهدا، مبينا في كل شاهد المعنى الحقيقي والمعنى المجازي والجامع بين المعنيين ونكتة التعبير بالاستعارة دون الحقيقة، والسر البلاغي في الآية، والأثر النفسي الذي يتداعى إلى القلوب عند سماع التعبير بالألفاظ التي دخلتها الاستعارة فلم يسبق لأحد من السابقين أو اللاحقين أن صنع ما صنعه الرماني [4].

فمن أمثلة القرآن التي استشهد بها الرماني نذكر: قال الله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾ [الفرقان: 23]، علق على هذه الآية قائلا: "حقيقة

---

[1] المرجع نفسه، ص86.

[2] عبد القادر حسين، القرآن و الصور البيانية ، ص177.

[3] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص 86.

[4] عبد القادر حسين، القرآن و الصور البيانية ، ص177.

قدمنا هنا عمدنا، وقدمنا أبلغ منها لأنها تدل على أنه عاملهم معاملة القادم من السفر، لأنه عاملهم من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم، ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم، وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال، والمعنى الذي يجمعهما العدل، لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل، والقدوم لما بينا، وأما هباء منثورا فبيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة"[1] ، أرى أن الرماني في هذه الآية ركز على إبراز معناها الحقيقي ثم أظهر لنا فضل التعبير بالمجاز وبلاغته، ثم انتقل لبيان وجه الشبه (العدل) الذي سماه بالجامع. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الحجر: 94]، قال في هذه الآية: "حقيقته فبلغ ما تؤمر به، والاستعارة أبلغ من الحقيقة، لأن الصدع بالأمر له تأثير كتأثير صدع الزجاجة، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع، والمعنى الذي يجمعهما الإيصال، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ"[2].

فعند النظر لتحليل الرماني و لطريقته في بيان العلة لإبراز بلاغة الاستعارة عن الحقيقة، وسر الجمال في التعبير بلفظ فأصدع بدلا من لفظ فبلغ، يجعله متمثلا للسر البلاغي ومتذوقا للجمال والحسن في التعبير بالاستعارة، وعند النظر إلى ما يقوله بعض المعاصرين في نفس الآية لبيان الاستعارة فيها، حيث علقوا عليها قائلين: المراد بقوله (فأصدع) بلغ فقد شبه التبليغ بالصدع بجامع التأثير في كل منهما... ثم استعير الصدع للتبليغ، ثم اشتق من الصدع بمعنى التبليغ أصدع، بمعنى بلغ على طريق الاستعارة التصريحية التبعية... والقرينة هنا هو الجار والمجرور (بما تؤمر)، فتعليقهم هنا عرفنا منه أركان الاستعارة ونوعها وقرينتها فحسب ولم نعرف ما هو أكثر من ذلك من أسرار البيان وبلاغة القرآن، فهذه الطريقة لا تنفع في صقل المشاعر وتذوق الجمال[3].

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص ص86- 87.

[2] المرجع نفسه، ص87.

[3] عبد القادر حسين ،القرآن و الصور البيانية ، ص178.

فالرماني ليس كغيره ممن تناولوا البلاغة قديما وحديثا، فهو كان يهتم بالجوانب الاصطلاحية ولكنه لا يهمل الصور البلاغية والأثر النفسي وانفعال الوجدان وتحرك المشاعر، فبهذا كان من القلائل الذين عالجوا الاستعارة بهذه الطريقة المثالية التي ينبغي أن نسير عليها في عصرنا[1].

"بلاغة الاستعارة تتمثل عند بعض الباحثين في توكيد المعنى، وإلباسه ثوب المبالغة مع إبرازه في صورة محسوسة،ثم التعبير عنه بألفاظ موجزة"[2].

هذه العناصر الثلاثة التي تتميز بها الاستعارة عن الحقيقة تطرق لها الرماني من خلال استشهاده ببعض الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ**﴾[فصلت: 51]، علق عليها قائلا:" عريض هاهنا مستعار وحقيقته كبير، والاستعارة فيه أبلغ لأنه أظهر بوقوع الحاسة عليه وليس كذلك كل كثرة، وقيل عريض لأن العرض أدل على الطول "[3]، ففي هذا التعبير تأكيد للمعنى وإبرازه في صورة محسوسة.

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ **وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ**﴾ [الزخرف: 11]، قال في هذه الآية:" النشر هنا مستعار وحقيقته أظهرنا به النبات والأشجار والثمار فكانت كمن أحييناه بعد إماتته،فكأنه قيل: أحيينا به بلدة ميتا من قولك: أنشر الله الموتى فنشروا، وهذه الاستعارة أبلغ من الحقيقة لتضمنها من المبالغة ما ليس في أظهرنا، والإظهار في الإحياء والإنبات إلا أنه في الإحياء أبلغ "[4].

أما التعبير عن الاستعارة بألفاظ موجزة فيتضح لنا من خلال تعقيب الرماني على قوله تعالى: ﴿**أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾ [الأنفال:7]،" اللفظ هاهنا بالشوكة مستعار، وهو أبلغ وحقيقته السلاح، فذكر الحد الذي به تقع المخافة، واعتمد إلى الإيماء إلى النكتة

[1] عبد القادر حسين، القرآن والصور البيانية، ص 179.

[2] المرجع نفسه ، ص179.

[3] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص90.

[4] المرجع نفسه، ص89.

وإذا كان السلاح يشتمل على ماله حد، فشوكة السلاح هي التي تبقى "[1]، حيث عبر هنا بلفظ الشوكة لتشمل كل أنواع السلاح، وهذا في غاية الاختصار وفي منتهى الإيجاز.

وتأكيد المعنى في الاستعارة يتضح لنا في قوله تعالى: ﴿**فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ**﴾ [الأنبياء:15] ، أصل الخمود للنار وحقيقته هادئين والاستعارة أبلغ، لأن خمود النار أقوى في الدلالة على الهلاك على حد قولهم: طفئ فلان كما يطفأ السراج، فالتعبير بلفظ الخمود تأكيد للهلاك لا يتوافر في اللفظ الحقيقي [2].

وعلى هذا النمط يمضي الرماني في سائر الأمثلة، مصورا بلاغة الاستعارة واصلا لأغوارها وكاشفا عن سر جمالها وتفردها في الحقيقة من خلال زيادتها للبيان، كما ابرز لنا صورتها المحسوسة التي تحيط الحواس بأبعادها وأعماقها[3].

فالاستعارة هي التي كشفت ما يريد القرآن التعبير عنه، وكشفت عن إيحائية جديدة في الآيات التي لا يحس بها السامع في الاستعمال الحقيقي، فالاستعارة أبلغ ومتميزة عن غيرها من التعابير، فبهذا بلغت الاستعارة في القرآن مرتبة الإعجاز، فمن خلال الأمثلة التي استند عليها الرماني للاستشهاد على آرائه برزت لنا بلاغة الاستعارة القرآنية وإعجازها، وهذا من خلال قدرتها على تجسيد المعنى وتقديمه في صورة حسية بحيث ينفعل معها قلب المتلقي وعقله ، فالرماني في هذا الباب اهتم بالأثر النفسي الذي يتركه الكلام البليغ يتسلل للنفوس عن طريق الحواس.

4- التلاؤم:

يعرفه الرماني قائل: " التلاؤم نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف "[4]، فالتلاؤم هو الموصوف بحسن البلاغة وهو أن تكون نغمات الحروف متلائمة مع بعضها البعض في الكلمة، والكلمات تألف نغمها بعضها مع بعض في الجمل، والجمل بدورها تألف

[1] الرماني، النكت في إعجاز االقرآن، ص89_90.

[2] عبد القادر حسين، القرآن و الصور البيانية، ص180.

[3] المرجع نفسه، ص180.

[4] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص94.

بعضها مع بعض في القول كله، وقد قسمه الرماني لثلاثة أوجه وهي: التأليف المتنافر، والتأليف المتلائم في الطبقة الوسطى، والتأليف المتلائم في الطبقة العليا، أوضحها فيما يلي:

4-1- التأليف المتنافر: كقول الشاعر

وقَبرُ حَربٍ بمكانٍ قَفرٍ ولَيسَ قُربَ قَبرِ حَربٍ قَبرُ .

علق عليه قائلا : "ذكروا أن هذا من أشعار الجن لأنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتمتع وإنما السبب في ذلك ما ذكرنا من تنافر الحروف "[1].

نلاحظ هنا نفور الرماني من هذا النوع من التأليف، وهذا لاختلال النغم فيه ولاختلال تأليف كلماته وعدم ترابطها مع بعضها البعض.

4-2- التأليف المتلائم في الطبقة الوسطى: وهو أحسنها كقول الشاعر أبي حية النميري :

رَمَتني وَستر اللَهُ بَيني وَبَينِها عَشيَّة آرام الكناس رَميم

ألا رب يَوم لَو رَمَتني رَمَيتُها وَلكِن عَهدي بِالنِضالِ قَديم [2]

4-3- التأليف المتلائم في الطبقة العليا : يقول الرماني: "القرآن كله فذلك بيِّن لمن تأمله، والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى، وبعض الناس أشد إحساسا بذلك وفطنة له من بعض، كما أن بعضهم أشد إحساسا بتمييز الموزون في الشعر من المكسور، واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم في الصور والأخلاق، والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما[3].

أرى أن الرماني يعود بالتلاؤم إلى تجانس الأصوات وتلاؤم نغمات الحروف وحسن تأليف الكلمات، فلما كانت أصوات القرآن متلائمة ومتجانسة بات القرآن في الطبقة العليا من التلاؤم، وهذا الأخير أحد شروط البلاغة، فالكلام لا يكون بليغا إذا تنافرت حروفه وغاب

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص95.

[2] المرجع نفسه، ص95.

[3] المرجع نفسه، ص ص96- 97.

التجانس والانسجام فيه، وأدرك أن إعجاز القرآن إنما يدرك بالذوق، فالذوق قدرة فطرية في النفس البشرية يميز من خلالها مواطن الجمال في الكلام من مواطن القبح.

علق الرماني عن الشاعر قائلا : " أما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال، ولذلك وضع في الكلام الإدغام والإبدال "[1].

يرى الرماني أن الفائدة في التلاؤم تعود لحسن الكلام في السمع وكذا سهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس، لما يرد عليها من حسن الصورة وطريقة الدلالة، ومثال هذا قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الحرف والخط وقراءته في أقبح ما يكون من الخط والحرف، فبهذا اختلاف في الصورة وإن كانت المعاني واحدة[2].

فمعنى كلام الرماني إسناد الفائدة واللفظ والمعنى على السوء، فحسن النظم وتعديل الكلام لا يأتي إلا بالعناية بالألفاظ والمعاني، وهذا من خلال وضع الألفاظ في مواضعها لتحقيق الانسجام، كما يرى الرماني أن البلاغة الحقيقية في حسن الصياغة وبمال التصوري كما ورد في المثال السابق ، ومخارج الحروف مختلفة، فمنها ما هو أقصى الحلق ومنه ما هو أدنى الفم ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك.

يرى الرماني أن: " التلاؤم في التعديل من غير بعد شديد، و ذلك يظهر بسهولة على اللسان وحسنه في الإسماع، وتقبله في الطباع، فإذا يضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام [3].

فالإعجاز كما نراه عند الرماني لا يقف عند حد التلاؤم، بل مع ذلك يستوجب حضور صحة البرهان ، فالتلاؤم كالصورة، والبرهان كالمضمون.

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 96 .

[2] المرجع نفسه، ص96.

[3] المرجع نفسه، ص96.

تطرق الرماني لمثال من القرآن الكريم في باب الإيجاز، وهذا في قوله عز وجل: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾ [البقرة 179] ، مقارنا إياه لقول العرب " القتل أنفى للقتل" حيث ذكر أن الخروج من الفاء إلى اللام في قوله تعالى ﴿**في القصاص**﴾ أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة في (القتل أنفى القتل) لبعد الهمزة عن اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام، فمن شروط البلاغة التلاؤم، فمن أراد أن يتصف بصفة البلاغة وجب عليه انتقاء الألفاظ الخفيفة على اللسان والعذبة في الاستماع لكي يحقق التلاؤم.

وفي ختام هذا الوجه البلاغي نقول أن التلاؤم اللفظي الذي انفرد به القرآن أكسبه قوة وتماسكا من خلال انسياب النغم وانسجام اللفظ في الآيات، حيث جاء القرآن في الطبقة العليا، فبإضافة حسن البيان للتلاؤم، ينتج القول البليغ حتى يصل لمرتبة الإعجاز.

5- الفواصل:

الرماني يعتبر الفواصل وجها من وجوه بلاغة القرآن وإعجازه، وهذا راجع لما تضيفه على أسلوبه من حسن بيان وما توجبه من حسن إفهام للمعاني، فلهذا فاق نظم القرآن غيره من النظوم وكان في أعلى طبقات البلاغة وبها بلغ مراتب الإعجاز.

يقول الزركشي: "الفواصل هي كلمة آخر الآية: كقافية الشعر وقرينة السجع"[1].

كما يعرف الرماني قائلا:" الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، فالفواصل بلاغة والأسجاع عيب "[2]، وتبعه في هذا التعريف أبو بكر بن الطيب ، والملاحظ هنا أنه يقصد بالفواصل نهايات الآيات ويربطها بالمعاني، ففرق بين الفواصل والأسجاع، حيث اعتبر الفواصل بلاغة وهذا لكونها تابعة للمعاني، وبان نفوره من الأسجاع حيث اعتبرها عيباً وهذا كون المعاني هي التابعة لها، يقول الرماني في هذا الباب:"

الفواصل تابعة للمعاني أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وهو قلب ما توجبه الحكمة في

[1] الزركشي،البرهان في علوم القرآن ، ص50.

[2] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص 97.

الدلالة إذ كان الغرض الذي هو الحكمة إنما هو الإبانة عن المعاني والتي الحاجة إليها ماسه، فإذا كانت المشاكلة وصلت إليه فهو بلاغة وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة، لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة "[1].

يرى الزركشي أن: " تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها عن سائر الكلام وتسمى الفواصل لأنه يُفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فُصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعا"[2].

أشار الرماني لنوع من الأسجاع الذي تتكلف معانيه، أي لا يكون المعنى هو الغاية، فوصفه قائلا:" مثله مثل من رصع تاجا ثم ألبسه زنجيا ساقطا، أو نظم قلادة در ثم ألبسها كلبا، وقبح ذلك وعيبه بيِّن لمن له أدنى فهم "[3].

يضرب لنا مثالا في السجع المتكلف غير المفيد في المعنى قائلا:" ما يحكى عن بعض الكُهان (والأرض والسماء والغراب والواقعة، لقد نفر المجد إلى العشراء)، ومنه ما يحكى عن مسيلمة الكذاب (يا ضفدع نقى كما تنقين لا الماء تكدرين ولا النهر تفارقين) "[4].

فهو يرى أن هذا الكلام غث وسخيف وهذا راجع لتكلف المعاني من أجله، وجعلها تابعة له من غير أن يبالي المتكلم بها ما كانت، فالمتكلم قصد اللفظ وأهمل المعنى ليتركه تابعا له، وهكذا نجد الرماني يفرق بين السجع والفاصلة بأن:"الفاصلة بلاغة وأن السجع عيب، وأن الفواصلَ الألفاظُ فيها تتبع المعاني والسجع الألفاظُ فيه مقصودة والمعاني تابعة، ويظهر أنه لم يكن بين يديه إلا سجع الكهان، ولكن أكُل السجع كذلك وألا يوجد سجع يزيد المعاني قوة، وتكون فيه المعاني وتكون فيه المعاني هي المتبوعة وليست تابعة، وأن السجع يزيد المعاني ويعطيها قوة ويسهل قبولها ويكون بابا من أبواب تأكيدها "[5].

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص97.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن ،ص50.

[3] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص 97.

[4] المرجع نفسه، ص 98.

[5] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، د. ط، د. ت، ص314.

والملاحظ هنا أن الحكمة من نظرة الرماني للسجع ووصفه بالعيب راجعة لتوفر سجع الكهان بين يديه وما يتخلله من الغرابة، فما قاله الكهان قصد به اتجاه الحروف من غير النظر إلى المعنى أي أهمل المعاني وهذا سبب اختلال سجعه فالأصح أن تكون الألفاظ هي من تتبع المعاني لا أن تكون المعاني تابعة لها ، كما يبين لنا الرماني فضل الفواصل القرآنية وبلاغتها فقال":" وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها "[1].

وفيما يخص أقسام الفواصل يقول الزركشي : "الفواصل تنقسم إلى ما تماثلت حروفه في المقاطع وهذا يكون في السجع وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل وهذا لا يكون سجعا ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين من أن يأتي طوعا سهلا تابعا للمعاني أو متكلفا يتبعه المعنى"[2].

أما الرماني فقد قسم الفواصل إلى قسمين أحدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة[3]:

أ- فالحروف المتجانسة كقوله تعالى: ﴿ **طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ**﴾ [طه: 1-3]، فكلمتي لتشقى ويخشى هما الفواصل، فحرفي الشيء والألف المقصورة متجانستين في الكلمتين، كذلك الأمر في قوله عز وجل: ﴿**وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ**﴾ [الطور 1-2].

ب- أما الحروف المتقاربة كالميم والنون في قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: 3-4]، وكالدال والباء نحو قوله تعالى: ﴿ **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾ [ق:1-2].

فرق الرماني في نهاية حديثه عن باب الفواصل بين الفواصل والقوافي فقال:" إنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة، لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص 98.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ص61.

[3] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص 98.

تمييز الفواصل والمقاطع، بما فيه من البلاغة وحسن العبارة، أما القوافي فلا تحمل ذلك لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة، وإنما حسن الكلام فيها إقامته الوزن ومجانسته القوافي، فلو بطل أحد الشيئين خرج عن ذلك المنهاج وبطل ذلك الحسن الذي له في الأسماع ونقصت رتبته في الإفهام، والفائدة في الفواصل دلالاتها على المقاطع وتحسينها الكلام بالتشاكل وإبداؤها في الأمر بالنظائر".[1]

والذي يفهم من كلام الرماني أن الفواصل مصطلح خاص بالقرآن وهي في أعلى طبقات البلاغة أما القوافي فهي خاصة بالشعر، فالفاصلة هي كلمة آخر الآية تقع عند الاستراحة في الخطاب، فالقرآن الكريم به من الجمال الصوتي والتناسق الفني والإيقاع الموسيقي ما يذهل الأذن العربية وذلك لما فيه من فواصل متقاربة في الوزن تشيه الوزن والقافية في الشعر، فتشوقت الآذان لسماعه وشهدت الألسن بما له من سحر وروعة في البيان وكمال في الإعجاز.

اختلف البلاغيون في قضية تسمية أواخر الآيات سجعا أم فواصل فالقرآن الكريم فيه من الفواصل ما قد تتحد فيها حروف المقاطع، وهنا وقع الاختلاف بين العلماء، فالرماني ينفي وجود السجع في القرآن فهو يحكم بأن القرآن غزير بالفواصل ليست من السجع فبذلك علا القرآن في نظره عن أن يكون سجعا ويقاربه في هذا الرأي الباقلاني فهو ينفي أيضا أن يكون القرآن سجعا.[2]

وبالمقابل هناك مجموعة من البلاغيين أثبتوا أن القرآن فيه سجع وإن كان أعلى ما يستطيعه الناس أو يزاولونه، أمثال أبي هلال العسكري وابن سنان، فأبو هلال العسكري يرى: "أنه لا مانع من أن يوصف القرآن بأن فيه سجعا ولكنه سجع في أعلى مراتب الكلام، بحيث لا يمكن أن يجاريه أحد ولا يصل إلى علوه أحد من الحلق"، أما ابن سنان في كتابه سر

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 98 – 99.

[2] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، ص314.

البلاغة فيسمي ما فيه المقاطع متحدة سجعا ولكن في درجة العلو القرآني الذي لا يستطيع أحد أن ينهد في كلامه إليه[1].

ومما سبق ذكره ومن تحليل الرماني الدقيق لهذا الباب نجد أن الفواصل القرآنية عميقة الدلالة تتطلب تفكرا ليتضح معناها ويصل للمستمع والقارئ ملامح دلالتها، فالقرآن كثر فيه ختم الفواصل مما زاده انسجاما وعذوبة في النطق وتقبلا على الألسن، أما الأسجاع ففيها تكلف للمعاني، فهذه الأخيرة تابعة للألفاظ وهذا من مظاهر عجز البشر عن مجاراة القرآن، فالقرآن رغم كثرة فواصله إلا أن معانيه بقيت منسجمة غير متكلفة، فالرماني فيما ذكره عن الفواصل وتقسيمه لها واستشهاده بالآيات القرآنية الدالة سعى لإثبات بلاغة الفواصل القرآنية وإعجازها.

6- التجانس:

عرفه الرماني قائلا: "تجانس البلاغة هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة"[2]، قسمه إلى قسمين:تجانس مزاوجة وتجانس مناسبة:

أ- تجانس المزاوجة:

المزاوجة تقع في الجزاء كقوله تعالى: ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ**﴾ [البقرة: 194]، أي جازه بما يستحق على طريق العدل إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء للتأكيد على دلالة المساواة في المقدار وجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [البقرة 14_15]، أي يجازيهم على استهزائهم، ومنه أيضا قوله عز وجل: ﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: 54]، أي جازاهم على مكرهم فاستعير للجزاء على المكر اسم المكر، لتحقيق الدلالة على أن وبال المكر راجع عليهم ومختص بهم، ومن ذلك أيضا

[1] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص318 - 319.

[2] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص99.

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [النساء: 142]، أي مجازيهم على خديعتهم، ووبال الخديعة راجع عليهم[1].

ب- تجانس المناسبة:

يدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد فمن ذلك قوله تعالى:﴿**ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ**﴾ [التوبة:127]، فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء أما هم فذهبوا عن الذكر، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير، ومنه أيضا قوله عز وجل: ﴿ **يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾ [النور: 37] فجونس بالقلوب التقلب والأصل واحد فالقلوب تتقلب بالخواطر والأبصار تتقلب في المناظر والأصل التصرف، ومنه قوله تعالى: ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** ﴾ [البقرة: 276] جونس بإبراء الصدقة ربا الجاهلية والأصل واحد وهو الزيادة إلا أنه جعل بدل ذلك الزيادة المذمومة زيادة محمودة[2].

والرماني في هذا الباب سار على النحو الذي سار عليه في الأبواب السابقة ، سعى لإثبات عجز العرب عن مجاراة القرآن، فعقد مقارنة بين التجانس في القرآن الكريم والتجانس في كلام العرب الذين هم أفصح الناس وأبلغهم، وهذا لغاية إبراز التفاوت بين الكلامين، وأيضا لإثبات بلاغة القرآن وإعجازه وسموه لأعلى طبقات البلاغة، وكان أساس هذه المقارنة في الوجه الأول من التجانس ألا وهو تجانس المزاوجة.

حيث قال: "العرب تقول الجزاء بالجزاء والأول ليس بجزاء وإنما هو على مزاوجة الكلام"[3].

ومثل لكلام العرب بقول عمرو بن كلثوم:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا[4]

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 99.

[2] المرجع نفسه، ص 100.

[3] المرجع نفسه، ص 99.

[4] أبو عبد الله أحمد الزوزني،شرح المعلقات السبع، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1،2010م، ص144 .

حيث انتهى إلى أن بيت عمرو بن كلثوم وإن كان بليغا لكنه ليس بليغا كبلاغة القرآن فقال:" فهذا حسن في البلاغة لكنه دون بلاغة القرآن لأنه لا يؤذن بالعدل كما آذنت بلاغة القرآن، وإنما فيه الإيذان براجع الوبال فقط، والاستعارة للثاني أولى من الاستعارة للأول لأن الثاني يحتذي فيه على مثال الأول في الاستحقاق، فالأول بمنزلة الأصل والثاني بمنزلة الفرع الذي يحتذي فيه على الأصل، فلذلك نقصت منزلة قولهم: الجزاء بالجزاء عن الاستعارة بمزاوجة الكلام في القرآن "[1].

وهذا النوع من التعبير اللفظي يهدف إلى إحداث تأثيرين: أحدهما صوتي، بما يحدثه من جمال موسيقي تطرب له الأذن وتهتز له القلوب وتؤسر له العقول، والآخر معنوي، ناتج من سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه، وذلك ما عناه الرماني في هذا الباب، حين عده وجها من وجوه إعجاز القرآن، فالتجانس فن من فنون البلاغة سعي الرماني من خلاله إلى إبراز إعجاز القرآن وهذا من خلال المقارنة بين التجانس في القرآن الكريم والتجانس في كلام العرب[2].

7- التصريف:

التصريف وجه من وجوه الإعجاز اللغوي القرآني عند الرماني، عرفه قائلا: "التصريف تصريف للمعنى في المعاني المختلفة كتصريفه في الدلالات المختلفة وهو عقدها به على جهة التعاقب "[3]، كما جاء في البرهان: "التصريف هو ما يلحق الكلمة ببنيتها"[4].

ومن تعريف الرماني للتصريف نجده يقسمه لقسمين: تصريف المعنى في المعاني المختلفة وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة.

أ- تصريف المعنى في المعاني المختلفة:

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص100.

[2] ينظر: حفان مليكة، بلاغة الخطاب القرآني عند الرماني، المكتبة الشاملة الذهبية، 2019م ، ص25.

[3] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص 101.

[4] الزركشي،البرهان في علوم القرآن ، ص208.

وهو تصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة وهو عقدها به على جهة المعاقبة كتصريف (الملك) في معاني الصفات، فصرف في معنى مالك وملك، وذي الملكوت، والمليك، وفي معنى التمليك، والتمالك، والأملاك، والتملك والمملوك "[1]، وهذا كما جاء في قوله عز وجل: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران: 26] وقوله تعالى ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾ [الأنعام: 75]، فالإعجاز في هذه الآيات يكمن في تصريف كلمة الملك واشتقاقها في المعاني المختلفة نحو مالك وملكوت وروعة تأليفها وبراعة تركيبها وحسن نظمها.

كما ذهب الرماني لتصريف معنى العرض فقال:" تصريف معنى العرض في الأعراض، والاستعراض، وبالتعرض، والتعريض، والمعارضة، والعرض، والعروض، وكله منعقد بمعنى الظهور ومنه أعرضت اليمامة أي ظهرت وهو الأصل، ومنه أيضا الإعراض عن الإنسان لأنه انزواء عن الظهور له، ومنه الاعتراض وهو ظهور ما يصد عنه الذهاب، ومنه الاستعراض للجارية لأنه طلب لظهورها للحاجة،ومنه التعريض للأمر لأنه طلب لظهوره بالفعل، ومنه التعريض للنفع لأنه يصير على السبب الذي به يقع ظهور النفع، ومنه المعارضة لأنها مقابلة يقع منها ظهور المساواة أو المخالفة [...] ومنه العروض لأنه ميزان الشعر به يظهر المنكسر من المتزن "[2].

وبعد هذا التحليل الاشتقاقي الذي قام به الرماني للفظتي (ملك والعرض) نجد أنه يسعى لإثبات أهمية هذا الباب في البلاغة فهذا الضرب من ضروب التصريف فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى من خلال تصريفه في المعاني المختلفة للتوضيح والإبانة.

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص101.

[2] المرجع نفسه، ص101.

ب- تصريف المعنى في الدلالات المختلفة:

وهذا النوع من التصريف جاء في القرآن الكريم من خلال قصص الأنبياء حيث بلغ القرآن فيه مرتبة الإعجاز، لأن تكرار المعنى الواحد في دلالات مختلفة من غير إخلال بالمعنى المراد أمر يصعب على البشر الإتيان بمثله وهذا موطن إعجاز القرآن الكريم.

فمن القصص التي صرف معناها في الدلالات المختلفة نذكر:" قصة سيدنا موسى عليه السلام، ذكرت في سورة الأعراف وفي طه والشعراء وغيرها من السور وذلك لوجوه من الحكمة منها التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة، ومنها تمكين العبرة والموعظة ومنها حل الشبهة في المعجزة "[1].

فتكرار هذه القصص بمجموعة عبارات مختلفة يكون لغاية معينة هي إظهار فصاحة وحُسْن كلام القرآن الكريم وتصرفه في البلاغة من غير نقصان ضمن أكثر الدرجات رفعة، وبأسلوب مميز يذهل العقول، إذ تُذكَر القصّة نفسَها في أكثر من موضعٍ، بسياقٍ جديدٍ وبدلالات وعبارات متنوعة ومختلفة وهذا لغاية أخذ الموعظة والعِبرة، وتثبيت فؤاد النبي ﷺ ومنها أيضا حل الشبهة عن المعجزة.

وفائدة التصريف هي حصول المعاني المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو، فهذا الأخير ينظر في عوارض الكلمة أما التصريف فينظر في ذات الكلمة[2]، كما ذكر الرماني في هذا الباب أن الأشياء على وجهين: "منها ما لا يدخل تحت الممكن فيه معارضة ومنها ما يدخل تحت الممكن، فالأول كالتحدي بعدد يضرب في عدد فيكون منه خمسة وعشرون غير خمسة في خمسة، وكذلك التحدي في قسمة المقادير أنه لا يخلو مقداران من أن يكون أحدهما أزيد من الآخر أو أنقص أو يساوي، فإذا قال قائل: هاتوا مثل هذه القسمة في غير المقادير قلنا لا يلزم ذلك لأنه لا يدخل تحت الممكن وكذلك سبيل الجذور ولو قال حذر مائة عشرة فهاتوا لها جذرا غير العشرة، وليس كذلك سبيل أعلى

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص102.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ص208.

الطبقات في البلاغة لأن الذي قدر على أن يأتي بسورة (آل عمران) والذي قدر على (المائدة) هو الذي قدر على (الأنعام) هو الله عز وجل الذي يقدر على أن يأتي بما يشاء من مثل القرآن، فظهر الحجاج على الكفار بأن أتى في المعنى بالدلالات المختلفة فيما هو من البلاغة في أعلى طبقة "[1].

مما يعني أن القرآن الكريم في أعلى طبقات البلاغة فالذي قدر على أن يأتي بسورة المائدة وغيرها من السور قادر على أن يأتي بما يشاء القرآن وتكرار القصة الواحدة في القرآن وفي عدة مواضع وبألفاظ مختلفة لا يؤدي لنفس المعنى فكل تكرار يندرج تحت غرض معين، فالكثير من القصص تكررت في مواطن مختلفة وبعبارات متنوعة وهذا إن دل عن أمر إنما دل على قدرة المكرر لها على التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى طبقة، ودل على معناها لتمكين العبرة والموعظة.

8- التضمين:

عرفه الرماني قائلا: "تضمين الكلام هو حصول المعنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه"[2]، قسمه لثلاثة أقسام وهي:

8-1- تضمين توجبه البنية:

فالصفة بمعلوم توجب أنه لابد من عالم، وكذلك مكرم توجب أنه لابد من مكرم.

8-2- تضمين يوجبه معنى العبارة:

وهو نوعان[3]:

أ- تضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا تصح إلا به: كصفة بقاتل يدل على مقتول من حيث لا يصح معه معنى قاتل ولا مقتول فهو دلالة التضمين

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص102.

[2] المرجع نفسه، ص102.

[3] المرجع نفسه، ص103.

ب- تضمين يوجبه معنى العبارة من حيث جهة جريان العادة: كقولهم «الكُرُّ بستين» والمعنى فيه بستين دينار، فهذا مما حذف وضمن الملام معناه لجريان العادة به.

فالتضمين عند الرماني كله إيجاز استغنى به عن التفصيل، كان مما يدل دلالة الإخبار في كلام الناس.

8-3- التضمين الذي يدل عليه دلالة القياس:

يقول الرماني: "هو إيجاز في كلام الله عز وجل خاصة لأنه تعالى لا يذهب عليه من وجوه الدلالة فنصبه لها يوجب أن يكون قد دل عليها من كل وجه يصح أن يدل عليه، وليس كذلك سبيل غيره من المتكلمين بتلك العبارة لأنه قد تذهب إليه دلالاتها من جهة القياس ولا يخرجه ذلك على أن يكون قد قصد الإبانة عما وضعت له في اللغة من غير أن يلحقه فساد في العبارة"[1].

مما يعني أن التضمين عند الرماني هو تضمين معانٍ زائدة دون التلفظ بها وهذا الأمر يصعب على غير البلغاء من الناس ، أما بالنسبة للقرآن الكريم فلا تخلو آية منه من تضمين لم يذكر باسم أو صفة ومن دلالات وإيحاءات يدركها كل متأمل ومتدبر لكلا م ا لله فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ **بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**﴾ فهذه الآية تتضمن معان زائدة لم يتلفظ ولم يصرح بها حيث "تضمنت التعليم لاستفتاح الأمور على التبرك بيه والتعظيم لله بذكره وأنه أدب من آداب الدين وشعار للمسلمين وأنه إقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي هي أجلُّ نعمة وأنه ملجأ الخائف ومعتمد المستنجح"[2].

ومنه نجد أن التضمين عن الرماني هو تضمين عدة معان دون التصريح بها ليس هو تضمين الكلام كلاما آخر لغيره قصد الاستعانة به لبلوغ المعنى المقصود مما يعني أن

[1] الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ص103.

[2] المرجع نفسه ، ص104.

التضمين عنده مظهر من مظاهر التأنق في تجلية المعاني وحسن تأديتها فلا نجد هذا النوع البلاغي إلا في أسلوب القرآن الكريم فهو الأسلوب البليغ المعجز[1].

9- المبالغة:

9-1- مفهوم المبالغة:

وضح لنا الرماني في بداية رسالته أن المبالغة وجه من وجوه البلاغة في القرآن الكريم وأنها أضفت عليه سمة الإعجاز، تبلورت الصلة بين المبالغة والإبانة من خلال دراسة الأسلوب القرآني في التصوير فقد لوحظ أن القرآن يعنف في خطاب الجاهلين تهويلا وترغيبا، فيلجأ إلى طريقة خاصة في تقديم المعنى والتي تعتمد على المبالغة في الوصف اعتمادا ملحوظا [2].

وقد عالج البلاغيون المبالغة في القرآن من جهة الإبانة، حيث عرفها الرماني قائلا: "هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير أن أصل اللغة لتلك الإبانة"[3].

فإذا كانت الصورة تساهم في عملية إقناع المتلقي والتأثير فيه عن طريق شرح المعنى وتوضيحه فإنه نفس الغاية تتحقق بالمبالغة في المعنى، ذلك كون المبالغة وسيلة من وسائل شرح المعنى وتوضيحه، لهذا ربط البلاغيون المبالغة بالإبانة في حديثهم عن أغراض التشبيه والاستعارة وهذا ما ذهب إليه الرماني، فقيل في هذا الباب أن الغاية من التمثيل هي المبالغة في الإيضاح والبيان حتى يصير الغائب كالحاضر والمتخيل كالمتحقق والمتوهم كالمتيقن، والمبالغة تتجاوز نطاق الإبانة لتصبح غرضا مستقلا وأسلوبا متميزا من أساليب التأثير في المتلقي[4].

9-2- أوجه المبالغة:

---

[1] حفان مليكة، بلاغة الخطاب القرآني عند الرماني ، ص29.

[2] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992م، ص343.

[3] الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ص 104.

[4] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ص343.

يرى الرماني أن المبالغة على أوجه وأضرب هي:

أ- المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية: وذلك على أبنية كثيرة منها[1]:

- فعلان: كرحمٰن عدل عن اسم راحم للمبالغة، ولا يجوز أن يوصف به إلا الله عز وجل لأنه يدل على معنى لا يكون إلا له، وهو معنى وسعت رحمته كل شيء.

- فعال: نحو قوله عز وجل: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ**﴾ [طه: 72] معدول أن غافر للمبالغة، ومنها أيضا علام معدول عن عالم للمبالغة وكذلك تواب.

- فعول: نحو غفور، شكور، ودود.

- فعيل: نحو قدير، ورحيم، وعليم، وكريم .

- مفعل: نحو مدعس، ومطعن.

- مفعال: نحو منحار ومطعام.

ب- المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة :

كقوله عز وجل: ﴿**ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ [الأنعام: 102] ، وكقوله القائل "أتاني أناس " ولعله لا يكون أتاه إلا خمسة فاستكثرهم وبالغ في العبارة عنهم "[2]، وهذا تعبير عن كثرة من جاء .

ج- إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة :

كقوله القائل جاء الملك إذا جاء جيش عظيم به ومنه تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ [الفجر: 22] جعل المجيء في دلائل الآيات مجيئا به على المبالغة في الكلام"[3]، والمعنى هنا أنه ليس ثمة مجيء لله تعالى حقيقي وإنما المراد هنا مجيء الدلائل الدالة على قدرته عز وجل ، ومنه قوله تعالى: ﴿ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم**

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص104.

[2] المرجع نفسه، ص104.

[3] المرجع نفسه، 105.

مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل: 26] أي أتاهم بعظيم بأسه فجعل ذلك إثباتا له على المبالغة "[1].

د- إخراج الممكن إلى الممتنع في المبالغة:

نحو قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ** ﴾[الأعراف: 40][2]، والمراد هنا أنه لا يدخل الجمل في سم الخياط ولا يدخل هؤلاء الجنة.

هـ- إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة:

في العدل والمظاهرة في الحجاج، من ذلك قوله تعالى:﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [سبأ: 24]، " هذا من باب اللف والنشر أي واحد من الفريقين مبطل وآخر محق ولا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على ما أنتم عليه من الشرك بالله"[3]، وهذا لغاية التخويف من العاقبة.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ** ﴾ [الزخرف 81]، وعلى هذا النحو خرج مخرج قوله تعالى: ﴿**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا** ﴾ [الفرقان 25] جاء على التسليم أن لهم مستقرا خيرا من جهة السلامة من الآلام،لأنهم ينكرون إعادة الأرواح إلى الأجسام، فقيل على أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ومنه: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [الروم 27] ، على التسليم أن أحدهما أهون من الآخر فيما سبق إلى نفوس العقلاء [4].

و- حذف الأجوبة للمبالغة:

---

[1] المرجع نفسه ، ص105.

[2] المرجع نفسه، ص105.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، ص1532.

[4] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص105

كقوله تعالى:﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ** ﴾ [الأنعام:27] وقوله:﴿ **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ**﴾ [البقرة: 165] ومنه:﴿ **ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾ [ص:1]، كأنه قيل لجاء الحق أو لعظم الأمر أو لجاء بالصدق، كل ذلك يذهب عليه الوهم لما فيه من التفخيم، والحرف أبلغ من الذكر لأن الذكر يقتصر على وجه والحذف يذهب فيه الوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم لما قد تضمنه من التفخيم [1].

الرماني عد الاستعارة القرآنية أسلوبا من أساليب المبالغة حيث: تستخدم للتأكيد في وصف حال أو موقف له أهميته ومغزاه، وعلى ذلك أصبحت الاستعارة في قوله تعالى ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** ﴾ [الحاقة: 11] ، أبلغ من التعبير الحقيقي لأن طغى علا قاهرا وهو مبالغة في عظم الحال. [2]

وأصبح قوله تعالى ﴿ **سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ** ﴾ [الرحمٰن: 31] من قبيل الاستعارة التي تهدف إلى المبالغة ذلك أن الله عز وجل لا يشغله شأن عن شأن، ولكن هذا أبلغ في الوعيد، وحقيقته سنعمد إلا أنه لما كان الذي سيعمد إلى شيء قد يقصر فيه لشغله بغيره معه، وكان الفارغ له هو البالغ في الغالب مما يجري به التعارف، دللنا بذلك على المبالغة من الجهة التي هي أعرف عندنا لما كانت بهذه المنزلة، ليقع الزجر بالمبالغة التي هي أعرف عند العامة والخاص موقع الحكمة [3].

أستنتج أن دراسة الرماني لباب البالغة اتسمت بالدقة والفهم العميق وهذا من خلال التزامه بالمنهج البلاغي البعيد عن الجدل الكلامي فالرماني مميز عن غيره بالاستقلالية في التفكير وتصوره الكثير من الوجوه البلاغة.

10- **البيان:**

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 106.

[2] جابر عصفور ،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص344.

[3] المرجع نفسه، ص344.

عرفه الرماني قائلا: " البيان هو إحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك"[1]، وقسمه إلى أربعة أقسام كلام وحال وإشارة وعلامة، والمقصود بالإحضار: هو كل ما يظهر المعنى المقصود و يوصله إلى الذهن سواء كان كلاما أو رسما أو رمزا أو إشارة فالرماني يرى الكلام على وجهين[2]:

أ- كلام يظهر به تميز الشيء من غيره فهو بيان .

ب- كلام لا يظهر به تميز الشيء فليس بيان كالكلام المخلط والمحال الذي لا يفهم به للمعنى.

مما يعني أن تسمية الكلام بيانا ناجم عن إظهار المعنى المراد والكشف عنه وتمكينه للمستقبل وكذا وإفهامه، فالمعاني ضمنية خفية لا تظهر إلا بالإخبار عنها والغاية من البيان الإبانة وتمييز الشيء عن غيره، لكن هذا لا يلزم أن يكون كل كلام أبان عن المعنى وأُفهم به المراد يسمى حسنا وبليغا.

حيث ذهب الرماني إلى أن حسن الإفهام شرط في البيان، لا مجرد الإفهام مع عي و فساد ، وضرب لذلك مثالا للتوضيح وهو قول السوادي فقال :" كقول السوداي وقد سئل عن آتان معه فقيل له :ما تصنع بها؟ فقال :أحبلها وتولد لي "[3]، فهذا الكلام قبيح فاسد، وإن كان قد فهم به المعنى وأبان عن المقصود ومنه أيضا ماحكاه عن باقل" والعرب تضرب به المثل في العي فتقول :أعي من بأقل ,وأبين من سحبان وائل فبلغ من عيه أنه سئل عن ظبية كانت معه بكم اشتراها فأراد أن يقول تأخذ عشر ,فأخرج لسانه فرج عشر أصابعه فأفلتت الظبية من يده"[4].

فعلق الرماني عن هذا المثال قائلا :"فهذا وإن كان قد أكد للإفهام فهو أبعد الناس من حسن البيان، وليس بحسن أن يطلق اسم بيان على ما قبح من الكلام، لأن الله قد مدح

[1] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 106.

[2] المرجع نفسه، 106.

[3] الرماني،النكت في إعجاز القرآن ، ص106.

[4] المرجع نفسه، 106.

البيان واعتد به في أياديه الجسام فقال:﴿**الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ [الرحمان 1-4] ولكن إذا قيد بما يدل على انه يعني به إفهام المراد جاز "[1].

يفهم من كلامه أن حسن الإفهام شرط أساسي في البيان ,فلو اقتصر تعريف البيان على الإبانة وتميز الشيء عن غيره وإفهامه لكان كلام السوادي وبأقل بيانا، مما يعني أن البيان الحسن هو ما كان ملما بأسباب البلاغة وأظهر معاني بأحسن الألفاظ وأجودها.

وإن حسن البيان عند الرماني على مراتب حيث قال :" فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد، حتى يأتي على مقدار الحاجة فيها هو حقه من المرتبة "[2].

ونفهم من كلامه أنه يشترط تحقيق أربعة أمور لبلوغ مرتبة البيان ألا وهي الحسن في العبارة من تعديل النظم أي أن يكون المقال على قدر المقام وحسن الوقع في السمع وحسن التقبل في النفس وكذا الخفة على اللسان .

ويرى الرماني أن البيان في الكلام لا يخلو من أن يكون باسم أو صفة أو تأليف من غير اسم للمعنى أو صفة كقولك :غلام زيد، فهذا التأليف يدل على الملك من غير ذكر له اسم أو صفة أما دلالة الاشتقاق عنده :" فهي كدالة التأليف كونها من غير ذكر اسم أو صفة ومثال ذلك قاتل تدل على مقتول وقتل من غير ذكر اسم أو صفة لواحد منها، ولكن المعنى مضمن بالصفة المشتقة وإن لم تكن به "[3] ، وهذا الأمر سبق أن تطرقنا إليه في الباب الثامن من أبواب البلاغة عند الرماني ألا وهو باب التضمين بالضبط ضمن تقسيم الرماني له فقد ذكر التضمين الذي يوجبه معنى العبارة وهو ما تطرقنا إليه الآن .

ذكر لنا الرماني:" أن دلالة الأسماء متناهية أما دلالة التأليف فليس لها نهاية ولهذا صار التحدي فيها بالمعارضة لتظهر المعجزة فلو قال قائل :قد انتهي تأليف الشعر حتى لا

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص106.

[2] المرجع نفسه، ص107.

[3] المرجع نفسه ، ص107.

يمكن أحدا أن يأتي بقصيدة إلا وقد قيلت فيها، قيل لكان ذلك باطلا لأن دلالة التأليف ليس لها نهاية كما أن الممكن من العدد ليس له نهاية يوقف عندها لا يمكن أن يزاد عليها "[1].

يرى الرماني أن القرآن كله في نهاية البيان حيث قال:"أن القرآن الكريم كله في نهاية البيان فمن ذلك قوله تعالى:﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ** ﴾ [الدخان : 25- 26] ، فهذا بيان عجيب يوجب والتحذير من الاغترار بالإمهال، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[الدخان: 40]، وقال عز وجل:﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ** ﴾ [الدخان: 51] ، فهذا أحسن الوعد الوعيد، وقال تعالى:﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ [يس :78- 79] ، فهذا أبلغ ما يكون من الحجاج، وقال: ﴿ **أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ** ﴾ [الزخرف: 5] فهذا أشد ما يكون من التقريع ، وقال تعالى: ﴿ **وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ** ﴾ [الزخرف: 39] فهذا أعظم ما يكون من التحسير، وقال عز وجل:﴿ **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [الأنعام: 28] وهذا أدلّ دليل على العدل من حيث لم يقتطعوا عما يتخلصون به من ضرر الجرم، ولا كانت قباحهم على طريق الجبر، وقال تعالى:﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف:67] وهذا أشد ما يكون من التنفير على الخلة إلا على التقوى، وقال تعالى:﴿ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ**﴾ [الرحمٰن: 41] وهذا أشد ما يكون من الإذلال، وقال عز وجل:﴿ **يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [الزخرف:71] وهذا أشد ما يكون من الترغيب، فقال تعالى:﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الأنبياء: 22] وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج وهو الأصل الذي عليه الاعتماد في صحة التوحيد، لأنه لو كان إله آخر لبطل الخلق بالتمانع بوجودها دون أفعالها"[2].

---

[1] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، ص107.

[2] المرجع نفسه، ص ص 107- 109.

يبدو أن الرماني يشترط في حسن التأليف حضور الألفاظ الخفيفة على اللسان العذبة في الاستماع الخالية من التعقيد والموافقة لمقتضى الحال حيث جعل الغاية الأسمى من البيان إظهار المعاني الخفية والتعبير عنها بألفاظ مختارة بعناية وموافقة للمعاني، فإذا تمكن المتكلم من إبراز المعاني في أسلوب عذب وملفت كان تأليفه في أعلى مراتب الحسن والبيان مثل هذا البيان العذب والمحكم لا نجده إلا في الأسلوب القرآني، وهذا ما أثبتناه من خلال استشهاده بعدة آيات قرآنية تخدم دراسته وتدعم مبتغاه فالقرآن كله في نهاية الحسن والبيان لهذا بلغ أعلى مراتب الإعجاز.

فبهذا القسم من أقسام البلاغة العشرة ينهي الرماني حديثه عن وجه الإعجاز اللغوي للقران الكريم، وقد تجلى في الإعجاز البلاغي .

خلاصة:

أستنتج مما سبق ذكره في هذا الفصل أن الرماني يتميز بأسلوبه المنطقي في عرض أفكاره والتي اتسمت بالتسلسل والتنظيم، وقد تجلى لنا اهتمامه البالغ بقضية الإعجاز حيث رأى أن الإعجاز القرآني يظهر من خلال سبعة جهات وباعتباره أحد المتذوقين للبلاغة ركز على الجانب اللغوي للقرآن الكريم ، ووقف عنده مطولا متناسيا الوجوه الثلاثة الأولى والثلاثة الأخيرة، فقد اعتبر البلاغة أحد أهم مظاهر الإعجاز، وهذا للعلاقة القائمة بينها وبين التأثير النفسي فهي ليست مقصودة في ذاتها.

وقسم الرماني هذا الوجه اللغوي لعشرة أقسام وربطها بالقرآن الكريم فقد أدرك أن إعجازه يكون بثنائية اللفظ والمعنى، وأن البلاغة أهم وجه من وجوه الإعجاز القرآني، فهو حين ربط البلاغة به لم يكن هدفه بيان إعجاز القرآن عن طريق تلك الأقسام، إنما كان اهتمامه موجها لاستخراج هذه الفنون وبيان سر أصالتها في الأسلوب القرآني وإظهار آثاره النفسية في البشر، وهذا ما عبر عنه في تعريفه للبلاغة بأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ، فطبيعة الإعجاز تتجلى لنا في طبيعة النص القرآني وتلاؤم ألفاظه وتوافق معانيه، فبهذه المميزات ارتقى القرآن لأعلى مراتب الإعجاز.

الفصل الثاني : مسائل الإعجاز اللغوي القرآني عند الباقلاني

أولا – نبذة عن حياة الباقلاني

ثانيا – وجوه الإعجاز القرآني عند الباقلاني

ثالثا – قضايا الإعجاز اللغوي القرآني عند الباقلاني

تمهيد:

سخر الباقلاني جل حياته وعلمه للدفاع على عقيدة السلف والرد على المخالفين والملحدين من الجهمية والمعتزلة والخوارج وغيرهم من المعارضين ، حيث وجه جل اهتمامه إلى دراسة القرآن الكريم وهذا سعيا لاستخلاص وجوه الإعجاز فيه ومحاولة منه لمعرفة العقيدة وتوضيحها بناء على مذهب الأشاعرة ، فهو أحد أهم تلاميذ المدرسة الأشعرية، تميز بغزارة مؤلفاته وتنوعها فمنها ما وصل إلينا ومنها ما لم يصل.

تجلت لنا عنايته بقضية بإعجاز القرآن من خلال تنوع مؤلفاته المعالجة لها، فأهم كتبه التي تناولت هذه المسألة هي : كتاب إعجاز القرآن، وكتاب الانتصار لنقل القرآن، وكتاب التمهيد، ويعد كتابه(إعجاز القرآن) أقرب كتبه إلى دراسة مسألة الإعجاز، وأولها نشرا وأشهرها ذكرا وهو أعظم ما ألّف في هذا الباب.

اعتمد الباقلاني في مقدمة كتابه على ذكر تقصير من ألفوا في معاني القرآن من علماء اللغة والكلام، حيث لاحظ تقصيرهم وعدم بسطهم القول في الإبانة عن وجه معجزته، فرأى أن من واجبه وضع كتاب يتجاوز فيه تقصير من سبقه وينفي فيه الشبهات ويسقطها عن القرآن، لتختفي الشكوك التي أُحيطت به، فقد سعي لسد الثغرات التي خلفت من قبل والتي كانت نتاج غفلة من سبقوه في هذه المسائل ، فكتبه الثلاثة السابق ذكرها تعتبر دراسة شاملة لبيان القرآن وبيان صلته بالبيان العربي إضافة إلى النواحي الكلامية في الإعجاز، فدراسته هنا توضح لنا موقفه من بيان القرآن الكريم ونظمه وبلاغته المتناهية ونقاط إعجازه وصلته بأعمال العرب من شعر ونثر.

وفي هذا الفصل سأتطرق إلى نبذة عن حياة الباقلاني، ثم وجوه الإعجاز القرآني عند الباقلاني، ثم منهجية تحليل الإعجاز القرآني عند الباقلاني، ثم رفض الباقلاني القول بالصرفة، ثم قضايا الإعجاز اللغوي القرآني عند الباقلاني.

أولا: نبذة عن حياة الباقلاني

1- اسمه وميلاده:

هو القاضي أبو بكر بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلاني نسبة إلى الباقلي وبيعه، وقد أنكر الحريري في كتاب" درة الغواص "هذه النسبة وقال من قصر الباقلي: " باقلي ومن قد قال في النسب إليه باقلاوي وباقلائي ولا يقاس على صنعاء وبهراء لأن ذلك لا يعاد إليه"[1].

ولد بعد أن قارب القرن الرابع الهجري منتصفه بالبصرة وتلقى العلم هناك ثم انتقل إلى بغداد ولم توضح المراجع عام نقلته واستقراره ببغداد[2]، هو بصري النسبة سكن بغداد ونشأ فيها لأنه يذكر أنه سمع الحديث بها ونستقي من القرائن والحكايات التي دارت بينه وبين ملك الروم بأمر عضد الدولة أنه ولد بعد النصف الثاني من القرن الرابع أو قبيله، على أن السلطان عضد الدولة توفى عام (372هـ)[3].

تشير المراجع إلى أن الباقلاني كان مالكيا في المذهب أشعري العقيدة وكان الباقلاني تلميذا مخلصا للأشعري، أخذ عن تلميذيه النابهين أبي الحسن الباهلي وأبي عبد الله بن مجاهد الطائي (توفيا في حدود سنة 370)، يقول عنهما البغدادي: هم أثمر تلامذة، هم إلى اليوم شموس الزمان وأئمة العصور كالباقلاني وأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني[4].

2- مشايخه:

سمع الحديث من أبي بكر بن مالك القطيعي، وأبي محمد بن ماسي، وأبي أحمد الحسين بن علي النيسابوري، وأخذ علم النظر عن أبي عبد الله بن مجاهد الطائي صاحب الأشعري، خرج له محمد بن أبي الفوارس يعني الحنبلي، وحدثنا عنه القاضي أبو جعفر

---

[1] الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1407هـ/1987م، ص9.

[2] الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن، (مقدمة المحقق)، ص1.

[3] الباقلاني ، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، ص9.

[4] الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن، ص2.

محمد بن أحمد السمناتي وكان ثقة، فأما علم الكلام فكان أعرف الناس به وأحسنهم خاطرا وأجودهم لطانا وأوضحهم بيانا وأصحهم عبارة،وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم[1].

3- مؤلفاته:

تسنى للباقلاني أن يؤلف نيفا وخمسين كتابا، لم يصل إلينا منها إلا عدد يسير[2]، فحسب رواية الكثير من المترجمين أن الإمام كان كل ليلة إذا صلى العشاء وقضى ورده كتب خمسا وثلاثين ورقة، ويقوم بتكليف أحد ليعرضها عليه كي يضيف إليها بعض الدي فاته ويقوم بتعديلها، ومن مؤلفاته ما يلي:

- كتاب التمهيد: ألفه في إثناء مقامه بشيراز للأمير أبي كاليجار المرزبان، ابن عضد الدولة وولي عهده، وهو من أهم الكتب الكلامية التي تعلق بها أهل السنة فهو يرشدهم لأقوى الأدلة الجدلية.
- كتاب "المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدين".
- كتاب" الانتصار لصحة نقل القرآن والرد على ما نحله الفساد بزيادة أو نقصان".
- كتاب "إعجاز القرآن": وهو أول كتبه نشرا وأشهرها.
- كتاب" الفرق بين معجزات النبيئين وكرامات الصالحين".
- كتاب "مناقب الأئمة ونقص المطاعن على سلف الأمة".
- كتاب" كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الجحد والعناد ".
- كتاب" كشف الأسرار وهتك الأستار في الرد على الباطنية".
- كتاب "دقائق الكلام ومن رد على من خالف الحق من الأوائل ومنتحلي الإسلام".
- كتاب" التقريب والإرشاد "في أصول الفقه.
- كتاب " البيان عن فرائض الدين وشرائع الإسلام ووصف ما يلزم ما جرت عليه الأقلام".

[1] الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص ص9- 10.

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن،(مقدمة المحقق)، ص37.

- كتاب "الأصول الكبير في الفقه". [1]

وغيرهم الكثير من المؤلفات.. فأبو بكر بن الطيب تميز بغزارة مؤلفاته، وهذا كونه سخر حياته للتعليم والتأليف فهما ملكا عليه أقطار حياته.

4- مناقبه:

كان الإمام أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، كان سيف السنة وأوحد وقته، وانتهت إليه الرياسة في مذهبه، فكان مميزا بسرعة الجواب وجودة الاستنباط ، حيث قال ابن عساكر أن الشيخ أبا القاسم بن برهان النحوي يقول: من سمع مناظرة القاضي أبي بكر لم يستلذ بعدها سماع كلام أحد من المتكلمين والفقهاء، وهذا راجع لطيب كلامه وفصاحته وحسن نظامه وإشارته له في التصانيف الكثيرة والرد على المخالفين. وقد حدث أن ابن المعلم شيخ الرافضة ومتكلمها حضر بعض مجالس النظر مع أصحاب له، إذ أقبل القاضي أبو بكر الأشعري فالتفت ابن المعلم إلى أصحابه وقال لهم "قد جاءكم الشيطان" فسمع القاضي كلامهم وكان بعيدا من القوم فلما حلس أقبل على ابن المعلم وأصحابه وقال لهم: قال الله تعالى﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَيَاطِينَ عَلى الكَافِرِينَ تؤُزُّهمْ أزًا** ﴾ [سورة مريم- 83] أي إن كنت شيطانا فأنتم كفار وأرسلت إليكم.

روى ابن عساكر عن القاضي أبي المعالي عريزي بن عبد الملك أنه قال وقيل أنه دخل إليه يوما فرأى عنده بعض مطارنته ورهبانيته فقال له مستهزئا به كيف أنت وكيف الأهل والأولاد فتعجب الرومي منه وقال له ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الأمة ومتقدم على علماء الملة أما علمت أننا ننزه هؤلاء عن الأهل والأولاد فقال القاضي أبو بكر أنتم لا تنزهون الله سبحانه وتعالى فوقعت الهيبة في نفس الرومي وتدارك نفسه.

وعن علي بن محمد بن الحسن الحربي المالكي قال: كان القاضي أبو بكر الباقلاني يهم بأن يختصر ما يصنفه فلا يقدر على ذلك لسعة علمه وكثرة حفظه، قال ما صنف أخد

[1] ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن (مقدمة المحقق) ، ص 37.

خلافا إلا احتاج أن يطالب كتب المخالفين عدا القاضي أبو بكر فإن جمع ما كان يذكر خلاف الناس فيه صنفه من حفظه.

وعن أبي محمد اليافي يقول: لو أوصي رجل بثلث ماله أن يدفع إلى أفصح الناس لوجب أن يدفع إلى أبي بكر الباقلاني[1]، فالقاضي أبو بكر الباقلاني كان من أفضل أئمة المتكلمين فهو تميز عن غيره بسرعته في الجواب، ودقته في السبك والاستنباط.

5- وفاته:

توفي أبو بكر الباقلاني آخر يوم السبت ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاثة وأربعمائة (403هـ) ببغداد رحمه الله تعالى وصلى عليه ابنه الحسن ودفنه في داره بدرب المجوس ثم نقل إلى بغداد بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب، ورثاه بعض شعراء عصره بقولهم:

أُنظُر إلى الجَبلِ تمْشِي الرِجالُ بهِ وأُنظُرْ إلى القَبْرِ ما يحْويهِ في الصلقِ

وأُنظُر إلى صارمِ الإسلام معتمدًا وأُنظُـر إلى دُرةِ الإسـلامِ في الصـدقِ[2]

ثانيا: وجوه الإعجاز القرآني عند الباقلاني

ذكر الباقلاني أن وجوه إعجاز القرآن ثلاثة وهي:

1- الإعجاز الغيبي:

وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه فمن ذلك وعد الله عز وجل نبيه أنه سيظهر دينه على الأديان، بقوله عز وجل: ﴿ **هوَ الذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدى ودِينِ الحَقْ لِيُظْهِرَهُ على الدِينِ كُلِهِ ولَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونْ**﴾ [التوبة:33] ففعل ذلك.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرَّفهم ما وعدهم الله، من إظهار دينه ليثقوا بالنصر ويستيقنوا بالنجاح. وكان عمر بن الخطاب يفعل الشيء ذاته حتى وقف أصحاب جيوشه عليه فكان سعد بن أبي وقاص رحمه الله وغيره من أمراء الجيوش من

[1] ينظر: الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ص ص10- 12

[2] المرجع نفسه ، ص20.

جهته، يذكر ذلك لأصحابه ويشجعهم ويزرع فيهم العزيمة به، يلقون الظفر في مرو الشاهجان، قال تعالى ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [آل عمران: 12] فصدق الله عز وجل وهزم الكافرون[1]، قال الله عز وجل في أهل بدر﴿ **وإِذْ يَعِدُكُمْ اللهُ إِحْدى الطَّائِفتَيْن أَنَّهَا لَكُمْ**﴾ [الأنفال: 7] فوفى الله تعالى بما وعد[2].

ومن أخبار الغيوب الواردة في القرآن ما قاله الله في الروم. قال تعالى﴿ **الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ** ﴾[الروم 1-3] ، فالآيات التي يتضمنها القرآن من الإخبار عن الغيوب كثيرة جدا وهذا خير دليل على أن الأمور الغيبية لا يعلمها إلا الله، وهذا الوجه من وجوه الإعجاز وجد أيضا عند الرماني.

2- الإعجاز في أمية الرسول ﷺ :

يقول الباقلاني كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمات السير، من حيث خلق الله آدم عليه السلام، إلى حين مبعثه فذكر في الكتاب الذي جاء به معجزة له قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وما صار أمره إليه من الخروج من الجنة، ثم جملا من أمر ولده وأحواله وتوبته، ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه وما انتهى إليه أمرهم، وكذلك ذكر سائر الأنبياء المذكورين في القرآن والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيام الأنبياء صلوات الله عليهم[3].

فهذا الوجه من وجوه الإعجاز يشمل كل ما تضمنه القرآن الكريم من علوم ومعارف والتي لا سبيل إليها إلا عن تعلم، وإذا كان معروفا إن لم يكن ملابسا لأهل الآثار وجملة الأخبار ولا مترددا إلى التعلم منهم ولا كان ممن يقرأ.

فيجور أن يقع إليه كتاب فيقرأه ويأخذ منه عَلِم أنه لا يصل إلى عِلم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي، فلا يمكن لأمي نشأ من غير تعلم ولا قراءة أن يأتي بالعلوم والمعارف

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص33.

[2] المرجع نفسه، ص 34.

[3] المرجع نفسه، ص 34.

والقصص التي تضمنها القرآن إلا عن طريق الوحي لذلك قال الله عز وجل ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ [العنكبوت: 48]، وقال ﴿ **وَ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[الأنعام:105][1].

قال الباقلاني في هذا الباب: "وقد بينا أن من كان يختلف إلى تعلم علم ويشتغل بملابسة أهل الصنعة لم يخف على الناس أمره ولم يشتبه عندهم مذهبه وقد كان يعرف فيهم من يحسن هذا العلم، وإذا كان نادرا وكذلك كان يعرف من يختلف إليه للتعلم وليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلمها فلو كان منهم لم يخف أمره"[2].

3- الإعجاز البلاغي[3]:

يلاحظ أن كون الباقلاني من المتذوقين للبلاغة لم يقف طويلا أمام الوجهين الأولين بل وجه جل عنايته بالوجه الثالث اللغوي وهو نظم القرآن الكريم وبلاغته، وهذا ما سار عليه الرماني أيضا في عرضه لوجوه الإعجاز القرآني فقد خص الوجه البلاغي باهتمامه فرسالته كلها كانت تدور حول هذا الوجه بيانا لمعالمه.

سأتطرق فيما يلي إلى قضايا الإعجاز اللغوي عند الباقلاني مركزة على الإعجاز البلاغي باعتبار أن البلاغة أحد أهم فروعه.

ثالثا: منهجية تحليل الإعجاز القرآني عند الباقلاني

تتلخص نظرية الإعجاز القرآني عند الباقلاني في ثلاث خطوات وهي:

أ- يعرض الفكرة في كتاب التمهيد عرضا بسيطا، فيثبت صحة ما بين أيدينا من نص القرآن وأنه هو حقا كتاب الله المنزل على نبيه وأنه آية محمد ومعجزته الخالدة.

ب- يثبت عجز العرب عن الإتيان بمثله على رغم تحديه لهم مرارا.

---

[1] الباقلاني،إعجاز القرآن ، ص34.

[2] المرجع نفسه ، ص35.

[3] المرجع نفسه ، ص35.

ج_ ينتهي من المقدمات السابقة إلى نتيجة عامة حي خلاصة نظريته في الإعجاز التي عرضها في كتبه في صور مختلفة هي خروج نظم القرآن عن سائر كلام العرب ونظومهم، وما يحتج به على ذلك قوله: "إن قدر ما يقتضيه التقدم والحذف في الصناعة قذر معروف ولا يخرق العادة مثله ولا يعجز أهل الصناعة ولا المتقدمون فيها عنه مع التحدي والتقرير بالعجز والقصور لأن العادة جارية بجمع الدواعي والهمم على بلوغ منزلة الحاذق والمتقدم في الصناعة وما أتى به النبي من القرآن خرج عن حد ما يكتسب بالحذف... ويقول إن عجز القوم على معارضته دليل خروجه على نمط كلامهم"[1].

وهذا معناه أن الباقلاني يرجع إعجاز القرآن الكريم إلى نظمه وبيانه وحسن تأليفه وبلاغته، وهذا منصب على القرآن كله كونه وحدة متكاملة فهو نص كامل له سماته ومميزاته التي تميزه وتفصله عن سائر أقوال العرب وفنون كلامهم ، فهو يرفض ويعارض فكرة الإعجاز البلاغي الذي يعرض للتحليل الجزئي للعبارة والبحث فيها عن ضروب البيان والبديع ومجاز القول، فهو لا يأخذ بفصاحة الألفاظ وحدها، فالإعجاز يكون في نظمها وإحكام رصفها وليس في الحروف نفسها، وليس رصفها أكثر من وجودها متقدمة أو متأخرة ومترتبة في الوجود ليس لها نظم سواها، وهذا كتتابع الحركات ووجود بعضها قبل بعض وبعضها بعد بعض[2].

فالباقلاني أخذ فكرة النظم التي نادى بها الخطابي، الذي رأى أن ترتيب الألفاظ في العبارة خاضع لترتيب معانيها ووقوعها في النفس، حيث يرى الباقلاني أن القرآن يختلف في هذا عن سائر الكتب السماوية كالإنجيل والتوراة، ويتعلق بتوكيد إعجاز القرآن فرق ما بين أسلوبه وأساليب معارضيه من العرب الذين حاولوا تقليده فلم يكن محصولهم غير سفيه القول وسخيف الكلام.

[1] الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن ، ص 11

[2] المرجع نفسه ، ص 11 .

والمقصود هنا أن القرآن الكريم معجز في نظمه وحسن تأليفه وبراعة رصفه فهو في أعلى طبقات البلاغة، إذ يوجد فرق كبير بين أسلوبه وأساليب العرب المعارضين الذين عملوا جهدهم في تقليده والإتيان بمثله لكن محاولاتهم باءت بالفشل، فكان ما أنتجوه سخيف وغير متزن وبعيد عن المقارنة بكلام الله، كما يتضح لنا أن التوراة والإنجيل وغيرهما من كلام الله يشارك القرآن في الإعجاز بما يتضمنه من إخبار عن الغيوب وليس معجزا في النظم كما وقع إلى القرآن، وهذا تفسير تمكن البشر من تحريف التوراة والإنجيل وعجزهم عن تحريف القرآن والإتيان بمثله.

رابعا: رفض الباقلاني القول بالصرفة

الصرفة هو:

اسم مرة على وزن فعلة، مأخوذة من الصرف الذي هو رد الشيء عن وجهه يقولون: انصرف زيد من مكانه أي رجع عنه إلى مكان آخر، تطلق العرب لفظ (الصرفة) على منزلة من منازل القمر لانصراف البرد وإقبال الحر" [1] ، أما المقصود من الصرفة عند القائلين بها فإنها تعني أحد أمرين[2]:

أ- أن الله تعالى منع الناس عن معارضة القرآن بأن جعل هِممهم غير متعلقة بتلك المعارضة في: حسن أنهم لو لم تصرف هممهم عن المعارضة وتعلقت إرادتهم بها لاستطاعوا الإتيان بمثل القرآن.

ب- أن الله تعالى سلب الناس العلوم التي بها يستطيعون معارضة القرآن.

والفرق بينها يكمن في أن الأول يعني أن الناس لو توجهوا إلى الإتيان بمثل القرآن ولم يمنعهم مانع لاستطاعوا أن يأتوا بمثله، أما الثاني فإنه يعني أن الناس لو توجهوا إلى المعارضة فإنهم لن يستطيعوا الإتيان بمثله وهذا راجع لسلب الله لهم العلوم التي بها يستطيعون معارضته.

---

[1] عبد الوهاب النجار، أسرار إعجاز القرآن ، ص 88 .

[2] المرجع نفسه ، ص 88 .

كشف الباقلاني عن المعاني التي استقصى أهل العلم فيها قبله وما جاء به بعدهم فذكر أن النبي ﷺ عرف كون القرآن معجزا حين أوحي إليه من قبل أن يقرأه على غيره أو يتحدى إليه سواه، وأفاض في إبطال قول القائلين بالصرفة حين قال: " إن التوراة الإنجيل وغيرهما من كتاب الله يشارك القرآن في الإعجاز بما تضمنه من إخبار عن الغيوب"[1].

وبيان أنه ليس معجزا لم يكن معجزا في النظم والتأليف، وأنه لم يكن معجزا لأن الله تعالى لم يصفه بما وصف القرآن، ولم يقع التحدي إليه كما وقع إلى القرآن ولأن الألسنة التي نزل بها لا يتأتى فيها من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز، و قال إن كتاب (زرادشت) وكتاب (مافي) لا يقع فيهما الإعجاز وأنه لا يوجد لابن المقفع كتاب يدعي مُدع أنه عارض فيه القرآن[2].

لجأ الباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن» إلى الموازنة بين القرآن وبين المعروف من أبلغ الكلام في الجاهلية فقال في ذلك:" أنه لو صح لكل من أمكنه نظم ربع بيت أو مصراع من البيت أن ينظم القصائد ويقول الأشعار، وصح لكل ناطق قد يتفق في كلامه الكلمة البديعة أن ينظم الخطب البليغة والرسائل العجيبة، ومعلوم أن ذلك غير شائع ولا ممكن، على أن ذلك لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة نظمه الممتنع، لكان مهما حط من رتبة البلاغة فيه ومتع من مقدار الفصاحة في نظمه كان أبلغ في الأعجوبة، انصرفوا عن الإتيان بمثله، ومنعوا من معارضته وعدلت دواعيهم عنه، فكم يستغني عن إنزاله على النظم البديع وإخراجه في المعرض الفصيح العجيب وعلا به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف لأنهم لم يتخذوا إليه ولم تلزمهم حجته، فلما لم يوجد في كلامهم من قبله مثله، علم أن ما ادعاه القائل بالصرفة ظاهر البطلان " [3] .

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص47.

[2] المرجع نفسه، ص69.

[3] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، ص83.

مما يعني أن لا شيء يشبه القرآن ولا يجاريه أو حتى يقاربه وهذا خير دليل على أن القول بالصرفة باطل ولا أساس له من الصحة، وأن القرآن الكريم قد جاء في أعلى مستوى لا تصل إليه قدرتهم من غير صرف،وهذا معناه أن حقيقة الإعجاز القرآني عند الباقلاني تكمن في عدم قدرة العباد عليه وعلى الإتيان بمثله فلو قدروا عليه لبطل الإعجاز.

إذا قلنا أن الذي أعجز العرب من الإتيان بمثله هو الصرفة، ما كان القرآن هو المعجز إنما أعجزهم الله بصرف هممهم عن المعارضة، " فالقول بالصرفة ينفي عليه خواص الإعجاز وإن معجزات النبيين السابقين ما كان في طاقة الناس أن يأتوا بمثلها في ذاتها ولم يكن بصرف الناس أن يأتوا بمثلها، فمعجزة العصا وتسع الآيات التي لموسى عليه السلام ما كان العجز من الناس بالصرف ولكن بالعجز الحقيقي، فلماذا لا تكون معجزة النبي كسائر المعجزات وهي أجل وأعظم". [1]

أورد الباقلاني معناً آخر في هذا الباب حيث قال: " إن أهل الصنعة في هذا الشأن إذا سمعوا كلاما مطعما لم يخف ولم يشتبه عليهم ومن كان متناهيا في فصاحته، لم يجز أن يطمع في مثل هذا القرآن بحال فكلام الآدمي لا يمكنه معارضة كلام الله ولا يستطيع أن يزيد عليه في الفصاحة ولا أن يتحاشاه، فليس الكلام على ما يقدره مقدر في نفسه ويحسبه ضان من أمره، و المرجوع في هذا إلى جملة الفصحاء دون الآحاد، فقد بينا لنا من خلال هذا الوجه امتناع القرآن عن الفصيح البليغ وميزه عن سائر أنواع الخطاب، ليُعلم أن ما يقدره من مساواة كلام الناس به تقدير ظاهر يبين الغلط ". [2]

وتقدير هذا من جنس ما حكى الله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾ [المدثر:18-25]، فهم يزعمون أنهم قادرون عن الإتيان بمثله وأن ذلك من

[1] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن ، ص84.

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن(مقدمة المحقق)، ص30.

قول البشر، فما كان من كلامهم لا يقع فيه التفاضل إلى الحد الذي يتجاوز إمكان معارضته، فما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون المنع هو المعجز،فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه.[1]

والمراد مما جاء به الباقلاني في هذا الباب أن إعجاز القرآن يكمن في عدم قدرة البشر على الإتيان بمثل القرآن، فكلام الآدمي لا يمكنه مضارعة ومشابهة كلام الله، وليس بمقدوره أن يزيد عليه في الفصاحة والبلاغة والبراعة، فهو متميز عن سائر أنواع الخطاب، وما يبطل القول بالصرفة هو أن تكون المعارضة ممكنة وإنما تمنع منها الصرفة، هنا لن يكون الكلام معجزا في ذاته، إنما المعجز هنا هو المنع، فالباقلاني في باب الصرفة يختلف مع الرماني الذي أقر القول بالصرفة، وعدها وجها من وجوه الإعجاز القرآني.

خامسا: قضايا الإعجاز اللغوي القرآني عند الباقلاني

كتاب إعجاز القرآن للباقلاني أشهر كتاب أقام البرهان على أن القرآن معجز فهو أول كتبه التي نشرها والأول الذي حمل عنوان الإعجاز القرآني ومضمونه فهذا الكتاب انفرد بأنه أجرى موازنات مستمرة بين أسلوب القرآن وأساليب البشر لغاية واحدة ألا وهي إثبات أن الكلام في القرآن لا يوازن بالشعر وبأعمال البشر، فنظم القرآن دقيق خال من النقائص وهو بعيد على أن يسمو إليه فكر البشر ويطمع فيه طامع[2].

نبه فالباقلاني إلى أهمية دراسة مسألة الإعجاز لأنها أصل الدين وقاعدة التوحيد وأهل الباطل يتهجمون دائما إلى هذه القاعدة ويثيرون حولها الشبهات وينثرون الأباطيل ولعل واحدة منها تصيب غفلة مسلم فتفعل فعلتها، ثم إن محاولة التشكيك هذه لا تنشط إلا

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن(مقدمة المحقق) ، ص30.

[2] المرجع نفسه ، ص67.

في غيبة الفهم المؤسس والمعرفة المستنيرة، ولهذا كان الجهل في حياة المسلمين من أخطر المخاطر على عقيدتهم التي هي توأم أمرهم وعمود بنائهم[1].

وجه الباقلاني جل اهتمامه إلى دراسة القرآن الكريم، وسعي لاستخلاص واستنباط وجوه الإعجاز منه، فهو عند وضعه لأي مسألة يعمل على متابعتها وتحليل عناصرها ويحرص على وضع مقدمات لها بوضع أفكاره ويناقش مكوناتها ويستخلص نتائجها[2].

عقد الباقلاني بعد مقدمته التمهيدية فصلين قبل شروعه في الحديث عن فصل وجوه إعجاز القرآن، الفصل الأول في بيان أن نبوة النبي معجزتها القرآن، والفصل الثاني في بيان وجه الدلالة أن القرآن معجز.[3]

دار كلامه في الفصل الأول حول بيان أن للنبي معجزات كثيرة غير القرآن إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات وأحوال خاصة ونقل بعضها نقلا خاصا إلا أنه حكى بمشهد من الجمع العظيم وأنهم شاهدون فلو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكروه، "دلالة القرآن هي القيامة على حد واحد مما يعني أن القرآن لم يعجز الإنسان في طور من أطوار حياته فقط فأهل العصر الأول لم يخصوا بالتحدي دون غيرهم وذلك لأن القرآن معجزة باقية على الزمن والتحدي باقٍ معه على الزمن فهو تحدٍ لأهل كل عصر كما كان لأهل العصر الأول"[4].

ذكر الباقلاني أن القرآن غزير بالدلالات الصريحة على أنه هو آية النبي ، فمن ذلك قوله تعالى﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ [إبراهيم-1] ، "أخبرنا أنه أنزل القرآن ليقع الاهتداء به ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة إن لم يكن معجز، والسور التي افتتحت بالحروف المقطعة مشحونة ببيان ذلك، وكثير منها بني على بيان أن القرآن حجة وآية النبوة ثم عرض

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص168.

[2] الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن، ص2.

[3] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص179.

[4] ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 8.

لتأكيد ذلك سورة غافر وسورة فصلت وكان ذا قدرة بارعة في استخراج ما يتصل بهذا المعنى مما يظن دخوله فيه وفي بيانه وجه دلالته عليه". [1]

أما كلامه في الفصل الثاني فقد كان حول بيان وجه الدلالة على أن القرآن معجز، وفرق بين وجه الدلالة على أن القرآن معجز وبين الإعجاز في القرآن، حيث اعتمد في توضيح وجه الدلالة أن القرآن معجز على أصلين اثنين هما :

أ- صدق نزول القرآن على محمد □: فهو من تلاه على من في عصره ثلاثة وعشرون سنة، فالسبيل إلى معرفة هذا هو النقل المتواتر الذي يقع عنده العلم الضروري به وهذا لأنه قام به في المواقف وكتبه إلى البلاد وتحمله إليها من تابعه وأورده إلى غيره ممن لم يتابعه حتى ظهر فيهم الظهور الذي لا يشتبه على أحد ولا يستطيع أحد أن يأتي بقرآن يتلوه ويأخذه على غيره، حتى انتشر هذا في أرض العرب كلها وتعدى إلى الملوك المعاقبة لهم كملك الروم والعجم والقبط وغيرهم من ملوك الأطراف، فبورود القرآن مخالفا لأديان أهل ذلك العصر كلهم ومضادا لاعتقاداتهم المختلفة في الكفر وقف جميع أهل الخلاف على جملته ووقف جميع أهل دينه المكرمون بالإيمان على جملته وتفصيله وتظاهر بينهم فحفظه الرجال وتعلمه الكبير والصغير فهو عماد دينهم والمفروض تلاوته في صلاتهم فبهذا لن يتشكك أحد ولا يجوز أن يتشكك أحد مع وجود هذه الأسباب في أنه أتى بهذا القرآن من عند الله عز وجل[2].

ب- التحدي : القرآن الكريم تحدى العرب في لغتهم وتحداهم بأن يأتوا بمثله وقرعهم على ترك الإتيان به ولم يأتوا بذلك وهذا هو الأصل الثاني الذي اعتمده الباقلاني في بيان وجه الدلالة على أن القرآن معجز في ذاته، فذكر لنا مجموعة من الآيات القرآنية ليستشهد بها على صحة هذا الأصل ، فمن ذلك قوله تعالى:﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ**

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص179.

[2] الباقلاني ، إعجاز القرآن، ص16.

تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : 23-24]، ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [هود :13-14]، فبهذه الآية يتضح لنا عجز العرب عن الإتيان بمثله فهذا دليل على أنه من عند الله عز وجل ودليل على وحدانيته، فترك العرب وغيرهم الإتيان بمثل القرآن الكريم دليل على عجزهم[1].

فالله سبحانه وتعالى عند تحديه للبشر يأتيهم من مواطن قوتهم، مثال ذلك معجزة عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى جاءت لقوم يبرعون في الطب، وهكذا كان الأمر بالنسبة لمعجزة القرآن الكريم للنبي محمد في قوم كانوا يبرعون في الفصاحة ويتنافسون فيها.

فالعرب في ذلك الوقت كانوا يتنافسون في الشعر وقت اجتماعهم في مواسم الحج فيفرقون بين جيده عن سيئه فهم مميزون عن غيرهم من الأقوام بالسليقة، حتى أنهم علقوا على جدران الكعبة ما يسمى بالمعلقات السبع وهذا تكريما لأفضل الشعراء وتقييما لأجود الشعر، فتحداهم الله عز وجل في بلاغتهم وفصاحتهم وما تمكنوا فيه وهذا ليعجزهم وليظهر عظمة القرآن الكريم.

الملاحظ هنا أن إشكالية التحدي كانت محور اهتمام الباقلاني، تجلى لنا هذا من خلال تحليله والاستشهاد لها بالكثير من الشواهد القرآنية وهذا إثباتا لصدق النبوة ودفاعا عن القرآن الكريم وبيانا وتدعيما لوجه الدلالة،فالقرآن تحداهم في لغتهم فالعرب يمتازون بالبراعة في الشعر والنثر ويمتلكون مهارة السليقة في ذلك الوقت، فلو تحدى القرآن غير العرب لتحداهم بعلمه لا بلغته، أما عند تحديه للعرب تحداهم تحديا لغويا، فلو كانوا قادرين على معارضته والإتيان بمثله لم يجرأ أن يتفق منهم ترك المعارضة، وبالرغم من هذا تحداهم فيما برعوا فيه فبان ضعفهم على مجاراته وعجزهم عن الإتيان بمثل ما أتى به فهم آنذاك تميزوا

[1] ينظر: الباقلاني،إعجاز القرآن، ص 176.

بمنافستهم على الفصاحة والخطابة و السلاقة، وهذا عن طريق التسابق فيما بينهم بالشعر فلن يجوز أن يتغافلوا عن معارضته ولو كانوا قادرين عليها سواء تحداهم أم لم يتحدهم إليها. امتازت كتابات الباقلاني ودراساته بالمنهج الكلامي المنظم فقد كان مهتما بوضع المقدمات التي تنبئ عن الفكرة ثم انتقل إلى شرح ما جاء فيها من مسائل ومناقشتها من وجوهها المختلفة، وينتهي إلى تلخيص النتائج فالملاحظ أن هذا المنهج اتبعه في كتابه إعجاز القرآن، فقد مكنه المنهج العقلي في دراساته للبيان القرآني من الخروج بنتائج طريفة وهامة في الوقت نفسه، هو لم يعتمد في دراسته على دراسة الألفاظ والعبارات وهذا من خلال استناده على ما كتبه السابقون[1].

وقد قسمت قضايا الإعجاز اللغوي عند الباقلاني إلى ثلاثة عناصر أساسية هي: سمو فنون البيان، وتعدد وجوه النظم، وتنوع ألوان البديع، أوضحها كما يلي:

1- سمو فنون البيان:

يؤكد الباقلاني أن الإعجاز اللغوي يتأسس على سمو فنون البيان وفق محورين أساسين هما:

أ- **المحور الأول:** يكمن في تحديد العناصر البلاغية الخاصة بالقرآن والتي لا يوجد شيء منها في كلام الناس وذلك كونها ليست من طبائعهم ولا في طاقاتهم.

ب- **المحور الثاني:** يشمل إمعان النظر في الآيات القرآنية ومدارستها كلمة كلمة وجملة جملة وفقرة فقرة وسورة سورة، فأخذ الباقلاني كل هذه الأمور أخذة واعية محاولا استخراج ما وراءها من أحوال وغوامض وأسرار ولهذا يكون القرآن الكريم غير الذي في الشعر والأدب فإن العقول تتوه في بحاره[2].

أما تحديد العناصر البلاغية فقد كان ثمرة طول النظر في البحث عن الشيء الذي أعجز الناس في القرآن.

---

[1] ينظر: الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن، ص10.

[2] ينظر: محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص189.

كما يتضح أن البحث في مسألة الإعجاز القرآني "اعتمد على الإقناع العقلي والجدل الكلامي بالإضافة إلى الجانب البلاغي وصولا منه إلى إعجاز النص بنظمه البديع المعجز"[1]، وكما أشرنا سابقا فإن من جملة وجوه الإعجاز اللغوي القرآني عند الباقلاني نظمه البديع وأسلوبه وبلاغته المتناهية التي يعجز البشر عن الإتيان بمثلها ، وقد تجلى لنا اهتمامه البالغ بهذا الوجه اللغوي وهذا كون الباقلاني من علماء اللغة والأدب ومن المتذوقين للبلاغة، حيث أطال الحديث في هذا الباب وحلله تحليلا دقيقا، فأبرز لنا بديع نظم القرآن الكريم وحسن بلاغته وبراعة رصفه وهذا لبيان إعجازه وعجز البشر عن الإتيان بمثله.

تظهر لنا عناية الباقلاني بالبحث البلاغي من خلال محاولته إثبات تميز الأسلوب القرآني والبلاغة القرآنية عن أسلوب البشر وبلاغتهم، فقد سار على نهج مغاير للمناهج التي سار عليها السابقون في محاولتهم إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن، فهو يرفض إثبات هذا النوع من الإعجاز عن طريق أقسام البلاغة العشرة التي حددها الرماني في كتابه النكت، حيث عقد فصلا في كتابه "إعجاز القرآن" بعنوان في وصف وجوه البلاغة لخص فيه أقوال وآراء الرماني في هذا الباب، كما أشار لهذه الأبواب العشرة وشرحها بابا بابا كما شرحها الرماني ولم يزد عليها شيئا.

جعل فالرماني هذه الوجوه العشرة سبيلا للوصول للإعجاز القرآني كما وضحنا من قبل في الفصل الأول بينما الباقلاني يرفض هذا الرأي وبين لنا أن هذه الوجوه تنقسم إلى قسمين:

– قسم يمكن الوقوع إليه والتعمل له ويدرك بالتعلم، فما كذلك فلا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن به.

– وقسم لا سبيل إليه بالتعلم والتعمل من البلاغات فذلك هو الذي يدل على إعجازه.[2]

[1] سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ط، 1999 م، ص 52.

[2] ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 275.

يقول الباقلاني: إنما نذكر أن يقول قائل: "إن بعض هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيها الإعجاز، من غير أن يقارنه بما يصل به من كلام ويفضى إليه، مثل ما يقول: إن بما أقسم به وحده بنفسه معجز، وإن التشبيه معجز، وإن التجنيس معجز، والمطابقة بنفسها معجزة، فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه، فإن ادعي إعجازها لألفاظها ونظمها وتأليفها فإني لا أدفع ذلك وأصححه ولكن لا أدعي إعجازها لموضع التشبيه..." [1]

يصرح الباقلاني أنه لا مزية للفنون البلاغية من طباق وجناس واستعارة وتشبيه وغيرها من الفنون إلا من خلال نظمها وسياقها الذي سلكت فيه، "فلا يمكن أن يقال أن الطباق نفسه معجز أو الاستعارة لذاتها معجزة، وأن التشبيه بانفراده معجز، أما إذا نظر إلى هذه الفنون في سياقها ونظمها القرآني البديع العجيب الذي لا يدانيه نظم، فعندئذ يقال إنها معجزة بنظمها وسياقها وتركيبها الذي سمى إلى الطبقة العليا من طبقات البلاغة"[2].

والمستخلص مما قاله الباقلاني في هذا الصدد أن ما يمكن تعلمه والتعمل به ومعرفته من هذه الأقسام لا يؤدي إلى معرفة الإعجاز القرآني منه وأن ما لا يمكن تعلمه واكتسابه والعمل به هو الذي يكون محل الإعجاز.

فهذه الوجوه البلاغية في نظر الباقلاني غير معجزة في ذاتها، إنما إعجازها يكون في حسنها البالغ وسموها ونظمها واتساقها مع بقية الكلام ، إن انصراف الباقلاني إلى البحث عن الشيء الذي ليس من طبع الإنسان والذي قام عليه القرآن كان ثمرة معالجة طويلة في هذا الباب.[3]

يحصر الوجه اللغوي للإعجاز القرآني في وجوه النظم العشرة: فبعضها يرجع للقرآن الكريم في جملته، وبعضها الآخر يرجع إلى أساليبه وطبيعة نظمه ومنها ما يرجع لمفرداته ومنها ما يرجع إلى الحروف التي يبنى عليها كلام العرب.

---

[1] ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 276.

[2] بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، مؤسسة مختار، القاهرة، ط1، 1419هـ / 1998م، ص32.

[3] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص190.

2- تعدد وجوه النظم:

2-1- الوجه الأول:

هو تأليف الألفاظ بعضها إلى بعض، ورأي الباقلاني أسلوب القرآن مختلف في كليهما عن الكلام المعتاد ثم قسم فنون القول عند العرب إلى خمسة أقسام وهي: الشعر(المقفى الموزون)، والكلام الموزون غير المقفى (منه الخطب)، والكلام المعدل المسجع، والكلام المعدل الموزون غير المسجع، والمرسل(النثر).

جعل السجع هنا قسما من أقسام القول وخرج به عن النثر المرسل وعن الكلام الموزون غير المقفى والمقفى غير الموزون ووضعه بين المعدل الموزون غير المسجع، يقصد إلى جعل الكلام المعدل المسجع يجري مجرى الموزون على وزن ما، لكنه غير مطرد إطراد المقفى الموزون أو الموزون غير المقفى، خارج كذلك عن نوع من الكلام الفني، لا يشبه السجع لكنه قد يقع فيه منه،، ولعل فيه تقع الخطب والمقالات الفنية ثم المرسل هو المطلق الخال من وزن وقافية(النثر)[1].

فقد اتجه بحث الباقلاني أولا إلى جملة القرآن وما يجده من الأمر المعجز في أحوال هذه الجملة فقال: "منها ما يرجع إلى الجملة وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، مباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز به في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد دون ذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع ثم إلى معدل موزون غير مسجع ثم إلى ما يرسل إرسالا فتطلب فيه الإصابة والإفادة وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع ترتيب لطيف. [2]

[1] ينظر: الباقلاني، نكت الإنتصار لنقل القرآن، ص21.

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص35.

وإن لم يكن معتدلا في وزنه وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمل ولا يتضح له، وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق، ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب السجع ولا فيه شيء منه، وكذلك ليس من قبيل الشعر لأن من الناس من زعم أنه كلام مسجع، ومنهم من يدعي فيه شعرا كثيرا، فهذا إن تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم أنه خارج عن العادة وأنه معجز وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتمييز حاصل في جميعه"[1].

يظهر مما سبق ذكره أن الباقلاني يؤكد أن القرآن كله خارج عن تلك الأقسام فليس فيه شيء من السجع ولا من الشعر وهذا ردا على من زعم أن فيه من السجع والشعر، فالقرآن الكريم مختلف عن الكلام المعتاد في أسلوبه وطرقه في التعبير"فمثلا تقسيم القرآن إلى سور منها الطوال ومنها القصار ثم تقسيم السور إلى آيات توزعت على هذا الحد الذي نراه في المصحف شيء جديد على طرائق بيانهم التي هي شعر وخطب ورسائل ووصايا" [2].

تجلى لنا اهتمام الباقلاني ومحاولته إثبات أن القرآن الكريم مخالف للمعهود من طرق التعبير وأنه مخالف في جملته لجنس كلام البشر، حيث سبقه في هذا الرماني الذي قال أن القرآن مخالف بقالبه سائر قوالب الكلام عند البشر وسمى هذا الوجه من وجوه الإعجاز عنده نقض العادة.

وهذا معناه أن القرآن مخالف لجنس كلام البشر وليس فيه من الشعر والسجع فهو مخالف للمعهود في طرق تعبيره، فالشعر الذي ادعوه في القرآن لو غاب وزنه لذهب حسنه، وهذا يعني أن ما جاء بغير الوزن الذي من شأنه أن يحسن الكلام بما يفوق ويتعدى الموزون فهو معجز.

وقد ناقش القاضي عبد الجبار القول بأن مخالفة القرآن لطرائق كلامهم وجه من وجوه إعجازه ويبدو أن الفكرة كانت شائعة وكان القاضيان الأشعري والمعتزلي يعيشان في

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص35.

[2] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص191.

زمن واحد، وقال عبد الجبار: "كان يجب لو أتى بعضهم بطريقة من النظم ركيكة لم يسبق إليها أن يكون معجزا"[1].

وما يفهم من كلام الباقلاني في هذا الباب أنه لم يعنِ أن الإعجاز كان في مجيئه بطريق لا عهد للقوم به وإلا لكان المبتدئ بالشعر أو بطريقة من النظم معجزا كما قال القاضي عبد الجبار، إنما يعني أنه أتى بما لم يتمكن أحد من أن يمضي على سننه وأن يتمكن من الإتيان بمثله، فبهذا ظلت طريقة القرآن هذه متفردة، يتحاشاها أهل الصنعة مع جرأتهم على اقتحام كل ما تشق جهود الإنسان غيبه، فلا ينبع من الكتَّاب والشعراء في الإتيان بطريقة جديدة إلا ترادف عليها من بعده فمنهم من يزيد هذه الطريقة سعة وصقلا ومنهم من يتبعها ويربو عليها[2].

يظهر لنا أن الباقلاني لم يرجع الإعجاز لكون القرآن أتى بطريقة لم يعهدها البشر،إنما أرجعه لكون القرآن أتى بما لم يستطع أحد من البشر أن يمضي على سننه وأن يتمكن من الإتيان بمثله، فبهذا ظلت طريقة نظم القرآن هذه متفردة يتجنبها أهل الصنعة رغم جرأتهم، وهنا يكمن الإعجاز ، وفي هذا الباب عقد الباقلاني فصلين أفرد لكل منهما بحثا في كتابه،فصل ينفي فيه أن يكون القرآن شعرا وفصل آخر ينفي فيه أن يكون القرآن سجعا، وأطال الحديث والشرح في هذين البابين وهذا ليثبت صحة ما ذهب إليه.

2-2- الوجه الثاني:

نظر أيضا إلى جملة القرآن ولكن من حيث هو وصف لما جاء عليه من رفيع البلاغة وبديع المعاني، لا يتخلله فتور مع كثرة أغراضه وتنوعها[3] ، يقول الباقلاني في هذا المعنى: " ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر، وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، ص ص191- 192.

[2] المرجع نفسه ، ص192.

[3] المرجع نفسه، ص 203.

قصائد محصورة يقع فيها ما نبينه بع هذا من الاختلال ويعترضها ما نكشفه من الاختلاف ويشملها ما نبديه من التعمل والتكلف والتجوز والتعسف، وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة على وصفه الله تعالى به، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ **اللهُ أَنْزَلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ مَثَانِيَ تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَونَ رَبَهُمْ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللهِ**﴾ [الزمر:23][1].

لم يحدد الباقلاني الفصاحة والغرابة واللطف والتناسب في أوصاف القرآن "فقد أفلح في إبانته عن استحالة صدور هذا القرآن عن النفس البشرية، لأن قصارها في هذا الباب هو الكلمات المعدودة، وأنه ليس من طبعها أن يصدر عنها كلام في هذا الطول وعلى هذا الحد من البراعة وتاريخ الفحول من أهل الطبع شاهد ذلك، فليس هناك قريحة لا تفيض إلا بالبالغ المختار"[2].

يدور فكلامه في هذا الباب حول النفس الإنسانية وطبيعتها وطبيعة ما يقدر عنها فمن فطرتها الاختلال والانقطاع والفتور، فهذه الصفات بطبيعة الحال ستنعكس فيما يصدر عنها، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ كَانَ مَنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوْاْ فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾[النساء :82] ، "أخبر الله سبحانه وتعالى أن كلام الآدمي إن امتد وقع التفاوت وبان عليه الاختلال"[3].

فقصار النفس الإنسانية في هذا الباب هو الكلمات المعدودة فهي تعجز عن الكلام الطويل البارع المتتابع غير المنقطع ، " ولهذا نقول أن كلام الباقلاني وإن كان يبدو كأنه ينتهي عند نفي العيب عن القرآن فهو في جوهره متجه إلى نفي خصائص النفس البشرية عن مصدر القرآن و لك أن تقول بعبارة أخرى متجه إلى نفي خصائص بلاغتها عن القرآن الكريم[4].

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص36.

[2] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص 204.

[3] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 36.

[4] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص ص 204- 205.

وما جاء به الباقلاني في هذا الوجه يؤكد لنا سمو القرآن الكريم وعظمة أسلوبه، ويتضح لنا هذا من خلال مقا نته للنص القرآني بالنصوص العربية وما يتخللها من خصائص النفس البشرية والتي كانت محل مفخرة للعرب من نثر وشعر، فبعد هذه المقارنة برز لنا الأسلوب القرآني المتفرد والمضبوط وبان لنا إعجازه، وهذا من خلال بديعه في النظم وبراعته في انتقاء مفرداته وبلاغته المتناهية.

2-3- الوجه الثالث:

يخرج أيضا من هذه المشكاة ويتجه إلى الكشف عن خلو القرآن خلوا تاما من خصائص البيان البشري، وكأن الباقلاني كان يمعن ويتقصى النظر فيما ينعكس من طبائع الإنسان في بيانه حتى يتبين له ذلك الطبع بيانا لا يلتبس، ويتحدد تحديدا واضحا قاطعا ثم يمعن في القرآن ويتقصى فلا يجد هذا الشيء البشري فيه[1].

يقول الباقلاني: "هو أن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها، من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام و إعذار وإنذار ووعد ووعيد وتبشير وتخويف وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها، ونجد الكلام البليغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع، يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور، فمن الشعراء من يجود المدح دون الهجو ومنهم من يبرز الهجو دون المدح ومنهم من يغرب في وصف الإبل أو الخيل أو سير الليل أو وصف الحرب... ولذلك ضرب المثل بإمرؤ القيس إذا ركب والنابغة إذا رهب وبزهير إذا رغب ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وساير أجناس الكلام"[2].

يذكر الباقلاني أن القرآن تناول ضروبا مختلفة ومتنوعة من المعاني والأحوال فصاغ الموعظة صياغة تتفطر لها القلوب وساق الحجة مساقا تتجلى بها غشاوات الريب، ولفت إلى آيات الله في الأرض والسماء لفتا لا يروغ منه إلا من في قلبه عمي، ووصف الجنة

[1] محمد محمد أبو موسى،الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص 205.

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص36.

كأننا نجد ريحها والنار كأننا نجد حسيسها، "وهكذا أبلغ في كل ما عرض له، حتى القصص وهو ميدان إذا تناوله الأديب اتجه في معالجته إلى الأحداث وتسلسلها ولم يجد في سبيله هنا مقاما يدفعه إلى العبارة البليغة المليئة إلا إذا جاء عرضها في موقف من المواقف التي يرمي فيها الكاتب بالجملة المصقولة والكلمة النادرة، فمجال القصص إذن ليس مجال إبداع الصياغة وإن كان مجال دقتها، لهذا نرى الشاعر حين يقص حدثا في قصيدة يقترب خطوة ويلين سبكه، هذا فضلا عن إعادة الأحداث وصياغتها، لأن النفس الإنسانية في صياغتها الأولى للحدث تتفرغ أحاسيسها في العبارة التي عبرت بها عن هذا الحدث، فإذا عبرت عنه مرة ثانية كانت عبارتها مغسولة من هذا الدفء الذي أُفرغ في العبارة الأولى"[1].

مما يعني أن الباقلاني تأمل كلام الناس المعبر عن نفوسهم والمصاغ بأحاسيسهم فوجده محدودا بمحدودية هذه النفوس، فالنفس في صياغتها الأولى تضع كل أحاسيسها في العبارة التي من خلالها تعبر عن الحدث الذي كان يجول داخلها، فإذا همت لتعبر عنه مرة ثانية غسلت عبارتها وتجردت من ذلك الدفء الذي اتسمت به عبارتها الأولى، ثم انتقل إلى القرآن فوجد هذا الأمر فيه غائبا، فكشف عن خلوه من خصائص النفس البشرية، وهذا تأكيدا على انه من عند الله.

كما أشار الباقلاني للفروق بين الشعراء في نظم شعرهم حيث قال: "فبتأملك شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها، فتراه يأتي بالغاية في البراعة في معنى، فإذا جاء غيره قصر عنه ووقف دونه وبان الاختلاف على شعره ، فإذا كان الاختلال يتأتى في شعرهم لاختلاف ما يتصرفون فيه سيغنينا هذا عن ذكر من هو دونهم، فهناك من الشعراء من يجود ويبرع في الرجز ولا يمكنه نظم القصيدة، ومنهم من ينظم القصيدة لكنه يقصر تقصيرا عجيبا ويقع ذلك من رجزه موقعا بعيدا، ومنهم أيضا من هو متمكن في نظم القصيدة ويجعلها تبلغ المرتبة العالية ولا ينظم الرجز أو يقصر

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص ص 207- 208.

فيه مهما تكلفه أو تعلمه، ومن الناس من يبرع في الكلام المرسل فإذا أتى الموزون قصُر ونقُص نقصانا بيِّنا، ومنهم من يوجد بضد ذلك"[1].

ثم انتقل لوصف نظم القرآن وهذا لغرض المقارنة بينه وبين كلام البشر حيث قال: " وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرفون فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف ولا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا، وكذلك قد تأملنا ما تتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الإعجاز في كلها على حد واحد لا يختلف، وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة، فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر لأن الذي يقدرون عليه قد بيَّنا فيه التفاوت الكثير، عند التكرار وعند تباين الوجوه واختلاف الأسباب التي يتضمنها"[2].

وهذا معناه أن القرآن قد تناول كل الوجوه التي ذكرت من حسن في النظم وبديع في التأليف وبراعة في الرصف، فلا تفاوت ولا تباين ولا انحطاط فيه عن المنزلة العليا، فالإعجاز فيه يكون في جميع الآيات على حد واحد، ولا يختلف في ذلك سواء كانت الآيات طويلة او قصيرة فهو في نهاية البلاغة وفي غاية البراعة وهو مما لا يقدر عليه البشر، فالذي تمكنوا منه يتخلله التفاوت الكثير عند التكرار وعند تباين الوجوه واختلاف الأسباب التي يتضمنها.

2-4- الوجه الرابع:

إن كلام الفصحاء لا يتفاوت تفاوتا بينا في الفصل والوصل والعلو والنزول والتقريب والتبعيد وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع، ألا ترى أن كثيرا من الشعراء قد وصف بالتنقص عند التنقل من معنى إلى غيره والخروج من باب إلى سواه[3].

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص37.

[2] المرجع نفسه، ص ص37- 38.

[3] الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن، ص 23.

فهذا الوجه نظر فيه الباقلاني لباب من أبواب صناعة الكلام يصعب تهديه على أهل الطبع، وذلك هو باب دمج المعاني المتنوعة والمختلفة وإفراغها إفراغا واحدا حتى يُرى الكلام الذي يتضمن هذه المعاني، وهو كلام واحد حكم سبكه وأتقن تلاحمه ينتقل بك من معنى إلى معنى ويستأنف بابا بعد باب وهو على حد واحد من الاستواء والتلاحم، يخلو تماما من إعياء الخروج والتنقل ولا يظهر عليه آثار التكلف والتعمل.

فاختلاف المعاني وتنوعها أمر لا محيد عنه في الكلام وهذا لا يعني بالضرورة تعدد الأغراض فذلك شيء قد يكون أو لا يكون، والمهم هو أن معالجة المعاني المتنوعة وإفراغها في صياغة تؤلف مختلفها وتجمع تشاردها هو الأمر المهم في بناء الشعر والأدب، ثم إن فقه طريقة تأليف المختلف هو أيضا الأمر المهم في نقد الشعر والأدب.

فصعوبة هذا الأمر تتزايد بتزايد المعاني وغزارتها، ثم إن الغزارة والتكاثر والتوفر لا يُرى في أي كلام كما يُرى في القرآن، وهي على محدوديتها في الشعر والأدب لم يسلم من تعاطيها شاعر ولا أديب، ولا بد من وقوع تلك الثغرة التي تتمثل في نقطة انقطاع النفس في نهاية باب من أبواب المعاني ثم احتشادها إلى غيره، فعند تأملك لأي كلام كثيرا ما تجد تلك المقاطع التي توشك أن تفحم بعض أجزائه عن بعض بالمقابل هناك أحوال تجد فيها الشاعر قد اتسع بيانه واستطاع أن يأخذك بكلامه إلى الغاية التي يريد، فيشعرك بالبيِّن بين نسيبه ومديحه أو بين لهوه وفخره، بالمقابل نجد من يكون هذا الانقطاع خاصية من خصائص شعره، فقد ذكروا أن البحتري امتاز ببراعة نظمه وانقطاعه لصنعته وقدرته على أن يفتح بلسانه مغاليق الكلام[1].

فالباقلاني في وصفه لمعاني القرآن وفنونه و سعيه إظهار وجوه اختلافه عن كلام البشر يقول: "والقرآن على اختلاف فنونه وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة، يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب والمتنافر في الإفراد إلى حد الآحاد وهذا أمر عجيب تبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة ويخرج معه الكلام عن حد العادة

[1] ينظر :محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص ص 208- 209.

ويتجاوز العرف"[1] ، وهذا الوجه من أهم وجوه الإعجاز اللغوي القرآني عند الباقلاني وهذا كونه أظهرها حضورا، فهو يعالج الآيات ليرشد إلى تفوقها تفوقا يعجز عنه الخلق[2].

فقد كان كثيرا ما يشير إلى تلاحم الآيات بعدما يفرد كل جملة وكل آية بالنظر الذي تتضح به طبيعة معناها ويميزها حتى تعرف ما هي طبيعتها ومدلولاتها، ثم ينظر في التي تليها نظرة يتوسمها على حد ما قبلها، ثم يشير إلى ما بينهما من التآلف أو التخالف وذلك من حيث المعنى فحسب، ثم يرشد إلى براعة النظم الذي ألف المؤتلف أو ألف المختلف، فليس المراد بالمعاني المختلفة هنا الأعراض كالانتقال من الوعد إلى الوعيد والانتقال من الحديث عن آيات الله في الكون إلى القصص مثلا أو إلى القيامة أو ما يشبه ذلك، إنما المراد ما هو أشمل من ذلك مما يدخل فيه العلاقات الكائنة بين المعاني الجزئية الماثلة بين الجملة والجملتين أو الماثلة بين أجزاء الجملة وكذلك العلاقات بين الأغراض الماثلة في الفقرات[3].

فبهذا يكون القاضي أبو بكر بن الطيب من الذين شاركوا مشاركة مثمرة ومبكرة في دراسة المناسبات والروابط في السورة، فهذا المسلك الذي اتبعه دقيق جدا ومحتاج إلى تفريغ الفكر وتخلية البال [4]، والآن أنتقل إلى بيان طريقة معالجته لهذا الباب وهذا من خلال الاستشهاد بآيات قرآنية ، يقول الباقلاني في قوله تعالى: ﴿ **وإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِرَاْطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللهِ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾ [الشورى :52-43] يقول: فانظر إلى هذه الكلمات الثلاث فالكلمتان الأوليان مؤتلفتان وقوله ﴿ **أَلاَ إِلى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾ كلمة منفصلة مباينة للأولى قد صيرهما شريف النظم أشد ائتلافا من الكلام المؤتلف وألطف انتظاما من الحديث الملائم.

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 38.

[2] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص209.

[3] المرجع نفسه، ص ص 209 – 210.

[4] المرجع نفسه، ص210.

واضح أن الكلمة هنا تعني الجملة أو جزء الجملة وقد عد قوله غز وجل ﴿**صِرَاطِ اللهِ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ** ﴾ كلمة وهو بدل قوله ﴿**صِرَاْطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ ثم عد جملة ﴿ **ألاَ إِلى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ** ﴾ كلمة ووجه الائتلاف بسن الكلمتين الأولين ظاهر لأن البدل من المبدل منه، فصراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض هو الصراط المستقيم ولكن الكلام حاء على شرط الفخامة وهو بيان أن الصراط المستقيم هو صراط الله. أما وجه الانفصال والمباينة في قوله تعالى ﴿ **ألاَ إِلى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ** ﴾ فهو أنه معنى مغاير لأنه حديث عن الصيرورة والمآل وهو غير سابقة كما ترى، وهذا ما نسميه استئنافا وكأنه بمثابة العلة إلى الدعوة لطريق الله وكأن المعنى: وإنك لتهدي إلى صراط الله لأن مصير الأمور إليه فصراطه هو الأحق بالإتباع[1].

ما قرره البلاغيون المتأخرون من ضروب الجامع لم يكن قائما عند الباقلاني، كما أن جهوده فيما عالج من فصل الكلام ووصله تعد من مصادر البلاغيين، والمهم هو توسيم الشيء الذي في نظم هذا الكلام، والذي صارت به الجمل المتباعدة المواقع والمتنائية المطارح أشد تآلفا من المؤتلف في الأصل[2]. فالباقلاني في هذا المعنى أكد أن القرآن منزل بلسان العرب لكنه نزل على وزن فارق سائر أوزان كلامهم، فلو كان من بعض ما ألقوه من نظم وشعر لعرفوا أن صاحبه قد برع وأبدع، لكن نظم القرآن جاء مخالفا نظمهم ومفارقا لأجناس كلامهم.

2-5- الوجه الخامس:

وهو أن النظم القرآني وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن، كما يخرج عن عادة كلام الإنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا ويقصرون دونه كقصورنا وقد قال الله عز وجل: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [الإسراء:88]. [3]

---

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، ص ص 210- 211.

[2] المرجع نفسه ، ص212.

[3] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص38

فالباقلاني في هذا الوجه من وجوه الإعجاز اللغوي عنده لا يكشف شيئا في القرآن يعجز عنه البشر على حد ما سار عليه في الوجوه الأخرى، إنما اهتم بفكرة أن القرآن الكريم أعجز الجن كما أعجز الإنس عن الإتيان بمثله.

فقول الباقلاني خارج عن عادة كلام الجن فيه أن للجن كلاما ما للكلام من عادات وأعراف ونظم وأنهم رأوا فيما سمعوه من القرآن ما يخرج من عادات كلامهم وما يعبوا فوق طاقاتهم[1]، وبين ذلك من القرآن: أن الله تعالى حكى عن الجن ما تفاوضوا فيه من القرآن فقال: ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** ﴾[سورة الأحقاف: 29]، إلى آخر ما حكاه عنهم فيما يتلوه، فإذا ثبت أنه وصف كلامهم ووافق ما يعتقدونه من نقل خطابهم، صح أن يوصف الشيء المألوف بأنه ينحط عن درجة القرآن في الفصاحة[2] ، أي إن الجن رأوا فيه آية الله وحجته التي يقيمها على عباده بواسطة وحيه على أنبيائه ورسله.

ذكر الباقلاني أن هناك من لا يوافق القول في حديث عجز الجن عن الإتيان بمثل القرآن وذلك أنه لا سبيل لنا إلى معرفة عجزهم عن الإتيان بمثله، فقد يجوز أن يكونوا قادرين عن الإتيان بمثله وإن كنا نحن عاجزين، فقال في الرد عن هذا القول: "يمكن أن نعرف ذلك بخبر الله عز وجل، وأن هذا الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن وما يرون لهم من الشعر ويحكون عنهم من الكلام، وما نقلوه تأملناه فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الإنس ولعله يقصر عنها"[3] كما وقعت بينهم محاورات في عهد الرسول ، وهذا يعني أن القوم إلى الآن يعتقدون مخاطبة الغيلان ولهم أشعار محفوظة في دواوينهم يخاطبون فيها الجن والغيلان، ومثال ذلك:

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص 229_ص 221.

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص41.

[3] المرجع نفسه ، ص41.

قال تأبط شرا:

عَلى شَيمِ نارٍ تنورتها فبت لَها مُدبِراً مُقبِلا

فأَصبَحتُ وَالغولُ لي جارَة فَيا جارَتا أَنتِ ما أَهوَلا

وَطالَبتُها بُضعَها فَالتَوَت بِوَجهٍ تَهَوَّلَ فَاِستَغوَلا

فَقُلتُ لَها يا اِنظُري كَي تَرَي فَوَلَّت فَجُنتُ لَها أَغوَلا

فَطارَ بِقِحفِ اِبنَةِ الجِنِّ ذو سَفاسِقَ قَد أَخلَقَ المِحمَلا[1]

إذا كان القوم يعتقدون ويصدقون كلام الجن ومخاطباتهم ويحكون عنهم، وذلك القدر المحكي لا يزيد أمره عن فصاحة العرب، صح ما وصف عندهم من عجزهم عنه كعجز الإنس.

فهو هنا اعتمد على الشعر المنسوب إلى الجن ورأى أنه ضعيف لا يزيد أمره عن فصاحة العرب وبهذا صح ما قيل في عجز الجن والإنس عن الإتيان بمثل القرآن ، فقد سبق للباقلاني أن قال أنه من العلماء من لا يرى الخوض في حديث عجز الجن عن القرآن، وهذا لأنه ليس بين أيدينا مجالات للنظر والترجيح وإنما الأمر وحي نومن به إيمانا لا يرتاب ثم نسكت عما وراء ذلك، ولو فتحنا الكلام في عجز عالم الغيب لوجب أن نتكلم عن عجز الملائكة، وهذا مما لا سبيل إلى الكلام فيه، وقد دفع الباقلاني هذا الوجه بأن خبر عجز الجن جاء في القرآن ولم يذكر الحق عجز الملائكة، فوجب تقصي الكلام فيما أخبر الله به[2].

2-6- الوجه السادس:

فالذي ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصار والجمع والتفريق والاستعارة والتصريح والتجوز والتحقيق ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم موجودة في القرآن، وكل ذلك مما يتجاوز كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة [3].

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 41.

[2] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص 222.

[3] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 42.

ويفهم من كلام الباقلاني هنا أن وجوه البلاغة التي في كلام الناس موجودة في كلام الله عز وجل على الوجه الذي ينقض العادة ويبلغ ما فوق الغاية ، فهذا الكلام صريح في البسط والاقتصار (الإطناب والإيجاز) والجمع والتفريق والاستعارة والمجاز، وما هو من هذا الباب والذي ترجع إليه بلاغة الشعر والأدب وتتفاوت فيها مراتبه وتتباعد طبقاته، فنون هذا الباب وجدت في القرآن لكن على الوجه المعجز، وهذا لا يختلف عن كلام الرُّماني، وإنما هو تلخيص لرسالته (النكت) التي قامت على شرح الوجوه العشرة للبلاغة[1].

وهذا معناه أن وجوه البلاغة في الشعر والأدب والتي بها تتفاوت مراتبه ويقع التباعد بين طبقاته، ووجدت أيضا في القرآن الكريم لكن على الوجه المعجز الذي لا يقدر عليه البشر، وهذا ما ذهب إليه الرماني في استخلاصه لوجوه الإعجاز اللغوي في القرآن، حيث. ذهب إلى تقسيم البلاغة لعشرة أبواب أثبت من خلالها إعجاز القرآن مفارقته لكلام العرب. وكلام الباقلاني أشمل وأكشف على وجازته من كلام الرماني وذلك من جهة أن "الرماني حصر الوجوه في عشرة ومنها ما لا يكثر ولا يتسع ولا تظهر فيه البراعة، أما الباقلاني فلم يحدد هذه الفنون إنما قال« ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم»، دخل في هذه العبارة ما عرفه الناس وما يعرفونه من وجوه بلاغة الكلام، ثم إن الرماني لم يقل صراحة أن هذه الفنون قائمة في كلام الله على الوجه الذي يعجز، وإنما استخرجنا ذلك من سياقه الدال عليه دلالة قاطعة، بينما الباقلاني نص على هذا في قوله «وكل ذلك مما لا يتجاوز حدود كلامهم المعتاد»"[2].

يرفض الباقلاني فكرة إثبات إعجاز القرآن عن طريق الأقسام العشرة للبلاغة التي اعتمدها الرماني، حيث ذهب إلى تقسيم هذه الأبواب إلى قسمين قسم يمكن تعلمه والتعمل به ولا سبيل لمعرفة الإعجاز به، وقسم آخر لا سبيل لتعلمه والتعمل به وهذا دليل إعجازه، حيث قال إن هذه الفنون موجودة في كلام الله كما وجدت في كلام الناس، وذلك مما يتجاوز

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص223.

[2] المرجع نفسه ، ص 223.

كلامهم المعتاد ، فهو هنا ذكر أن هذا الفن أي وجوه البلاغة التي تسمى البديع ليس فيها ما يخرق العادة ويخرج عن المألوف بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب والتصنع، وأن من فنون البلاغة ما تفتن مذاهبه وتتسع فتتوافر فيه ضروب الجيد والأجود وتتاح فيه من الصور ما يخرق العادة ولا ينال بالتعلم[1].

لما ذكر الباقلاني وجوه البديع نفى فكرة أن يكون إعجاز القرآن راجعا إليها، حيث قال في هذه الصدد: "لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه به وذلك أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب والتصنع له، كقول الشعر ورصف الخطب، وصناعة الرسائل، والحذق في البلاغة، وله طريق يُسلك ووجه يقصد وسلَّم يرتقي فيه إليه ومثال قد يقع طالبه عليه"[2].

فما قاله هنا عن البديع يختلف عن كلامه في هذا الباب اختلافا كاملا، وذلك كون البديع الذي قال فيه أنه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من جهته لأنه يمكن بالتعلم، هو ما ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصاد والجمع والتفريق والاستعارة والتصريح، وقد ذكر هذه الفنون ضمن فنون البديع التي ذكرها مقدمة لحكمه هذا، والذي قضى فيه أنه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من جهتها[3].

فالمختلف في كلامه أنه حين ذكر هذه الوجوه وحين عدها وجها من وجوه إعجاز القرآن، كان كلامه في بيان مراده كلاما معتدلا جدا، فهذه الفنون قائمة في كلام الناس على حد وفي كلام الله على حد آخر يفوت ويقهر وهذا سداد،" لأنه يعني أن الأسلوب من أساليب الكلام والطريقة من طرقه تتوارد عليها الأحوال وتتفاوت بها المراتب، فقد ترى المقابلة وقد بلغت من البراعة ما بلغت ثم نراها وهي دون ذلك وهكذا الحال في كل طريق، وهذا

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ،ص227.

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، ، ص111.

[3] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص224.

واضح لكن ليس في الفرق بين كلام الله وكلام الناس، وإنما فيما يتفاوت فيه كلام الناس تفاوتا لا يحصر"[1] .

وهذا معناه أن الباقلاني حين ذكر هذه الفنون البلاغية عدها وجها من وجوه إعجاز القرآن كان كلامه مرتبا معتدلا غير مختل وهذا كون هذه الوجوه قائمة في كلام الناس على حد، وهي قائمة في كلام الله على الحد الذي ينقض العادة ويبلغ ما فوق الغاية ومما يتجاوز كلامهم المعتاد.

2-7- الوجه السابع:

إن المعاني التي تضمنها القرآن في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين والرد على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع، " وذلك أنه قد علم أن تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة والأسباب الدائرة بين الناس أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعانٍ مبتكرة وأسباب مؤسسة مستحدثة، فإذا برع اللفظ في المعنى البارع كان ألطف وأعجب من أن يوحد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر والأمر المتقرر المتصور، ثم يضاف إلى ذلك التصريف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد ما يُبتدأ تأسسه ويراد تحقيقه، بان التفاضل في البراعة والفصاحة، ثم اذا وجدت الألفاظ وفق المعنى والمعاني وفقها لا يفضل أحدهما على الآخر فالبراعة أظهر والفصاحة أتم"[2].

يدور كلام الباقلاني في هذا الباب حول جودة العبارة القرآنية واستوائها واطراد فصاحتها وتفوقها فيما تناولت من معانٍ جديدة، فالمعاني القرآنية معانٍ جديدة في أبوابها وتفصيلاتها وكذلك الأحكام الشرعية باب جديد وأيضا تفصيلاتها الدقيقة شيء جديد، وكذلك كل ما يتعلق بأصول الدين من الإيمان بالله وأحوال اليقين ودرجاته وأحوال النفوس وتباينها ثم اللفت إلى الآيات الهادية وتفصيلاتها وبيان دلالاتها وتحليل مواقف العقل البشري منها،

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، ص224.

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص42.

ثم أحوال الخلق وأطوار النشأة ثم أحوال القيامة وما يحصل للخلق عند النفخة الأولى ثم النشر ثم الحشر والحساب،وتحليل هذه المواقف الهائلة والعجيبة ودقائق ما يتخلل النفوس من أحوال من آمن منها ومن كفر، وكل هذا وإن كان مألوفا بالقرآن وصرنا نتكلم فيه وألفته ألسنتنا وتعودت عليه وراضت العبارة عنه، فقد كان بالقياس إلى تراث اللغة عند نزول القرآن جديدا تماما[1].

أورد الباقلاني في الوجه الثاني من وجوه الإعجاز اللغوي البلاغي أن اطراد البراعة مع اختلاف ميادين المعاني ليس من طبع البشر أما كلامه في هذا الوجه فكان حول أمر آخر وهو أن اطراد البراعة مع التجديد في المعاني واستحداثها أمر خارق للعادة، وهذا كون تخير الألفاظ للمعاني المتداولة والمألوفة والدائرة بين الناس أمر سهل مقارنة بتخيُر الألفاظ لمعانٍ مبتكرة وأسباب مستحدثة وجديدة، فبراعة اللفظ في المعنى البارع المستحدث أعجب من براعته في اللفظ المتداول المتكرر.

يقوم هذا الوجه على أمر شائع عند أهل الأدب وهو أن تدوير ألفاظ اللغة على المعاني للمألوفة وإحكام العبارة عنها أمر يختلف في قربه، وتمكن أهل اللسان من إلباس ألفاظ اللغة المعاني الجديدة والأفكار المبتكرة أو المؤسسة والمستحدثة، وأن وجود اللفظ المحكم والعبارة المتقنة يكون غالبا مع المعاني المألوفة، أما حين ينصرف القائل إلى كشف الحجب عن معانٍ مستورة فإذا انكشف له ذلك لم يبالِ بأي لفظ يلبسه، ومن هنا ظهر الشعر الذي وصف بأنه حسن معناه دون لفظه، وهناك شعراء عُرفوا بعنايتهم بالمعاني حفاوتهم بها أكثر من حفاوتهم بالألفاظ وعرفت أبيات المعاني وهي ما لطُف معناها ودق، وكانت العبارة عنها قد مازجها شيء من الإلباس والتعتيم وقد أفردها العلماء بالتصنيف[2].

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص ص 228- 229 .

[2] المرجع نفسه ، ص229.

يقول الباقلاني:" تخير الألفاظ لمعانٍ مبتكرة وأسباب مؤسسة مستحدثة فإذا برع اللفظ في المعنى البارع، كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرر والأمر المتقرر المتصور"[1].

وهذه لفتة منه تستحق التقدير، فاللفظ والمعنى في كتاب الله فيهما جدة وليس ذلك بمتيسر لكثير من الناس، فالبراعة في اللفظ من شأن الأدباء والجدة في هذا المعنى من شأن رجال التشريع والفلسفة والأخلاق[2]، وهذا معناه أن القرآن يتميز آن كلام البشر مي حيث ألفاظه ومعانيه المتسمين بالدقة والجدة، وهذا الأمر صعب المنال للكثير من الناس وهذا كون البراعة في الألفاظ من اختصاص الأدباء، أما الجدة في المعاني فهي من اختصاص رجال التشريع والأخلاق والفلسفة.

2-8- الوجه الثامن:

يتبين فضل الكلام ورجحان فصاحته بأن "تذكر منه كلمة في تضاعيف الكلام، أو تقذف ما بين الشعر فتأخذها الأسماع وتتشوق إليها النفوس ويُرى وجه رونقها باديا غامرا سائر ما تقرن به كالدرة، التي ترى في سلك من خرز وكالياقوتة في واسطة العقد، وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير وهي غرة جميعة وواسطة عقده والمنادى على نفسه بتميزه وتخصصه برونقه وجماله واعتراضه في حسنه ومائة"[3].

القسم الأول من كلام الباقلاني لغاية قوله: " وأنت ترى الكلمة في القرآن الكريم"، وصف لمجاري كلام أهل البيان فيما يقتبسه بعضهم من بعض، وأن الكلمة منه حين تقذف في شعر أو نثر، تأخذها الأسماع وتتشوف إليها النفوس، وهذا وصف للتفوق البارع الذي يتفاضل به كلام أهل الأدب، لأن المقتبس يختار الشذرات المتقنة الحكيمة والفرق بين تمييز الجملة القرآنية فيما جرت فيه والجملة المقتبسة منه ذا النوع هو فرق في الدرجة. [4].

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص42.

[2] فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 73.

[3] الباقلاني إعجاز القرآن، ص 43

[4] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراية تحليلية لتراث أهل العلم، ص234.

والباقلاني هنا لم تسعفه اللغة في وصف هذا الفرق، حيث تجد كلامه في وصف تميز المقتبس من كلام الناس يقارب كلامه في تميز الكلمة القرآنية، فالأولى يُرى وجه رونقها غامرا سائر ما تقرن به، والثانية تنادي على نفسها بتميزها وتخصصها برونقها وجمالها واعتراضها في حسنها ومائها، والأولى كالدرة في سلك من خرز وكالياقوتة واسطة العقد والثانية ترى غرة جميعه وواسطة عقده" [1]

مما يعني أن الفرق في العبارة التي وصف بها الباقلاني جريان الكلمة من كلام الله والكلمة من كلام الناس في تضاعيف الكلام ليس كالفرق الحقيقي القائم في الحالين، فكلام النبي من كلام الناس إلا أنه يتميز عنه تميزا لا يخرجه من دائرة جنسه وطبقته داخل كلامه وما داخله من كلام غيره، وصاغ العلماء الطرائق السديدة والبارعة التي حددت كلامه مما داخله.[2]

والأمر ليس كذلك في القرآن، فالجملة القرآنية إذا دخلت كلاما سطعت فيه وبهرت وبرزت، وأيضا إذا دخلت جملة بشرية كلام الله ظهرت فيه ظهورا لا يلتبس على أحد وهذا راجع لكون القرآن وإن كان بألفاظ الناس إلا أنه أقام هذه الألفاظ على مقامات من التراكيب، صارت فيه بين كلام الناس كأنها الكوائن الحية المتحركة.

فرق بين أبرع ما تمثله يد المصور البارع من مشاهد وبين هذه المشاهد التي هي جزء من الوجود الحي، فرق بين الشجرة المصورة على الورق والشجرة التي نفيء إلى ظلها، هكذا بان الفرق والتباين بين العربية الجارية على ألسنة الناس وعربية القرآن الكريم[3].

قال الباقلاني: "فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك علم أن أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما عدلوا عن هذه الأمور، لعلمهم بعجزهم عنه وقصور فصاحتهم دونه، ولا يمتنع أن يلتبس على من لم يكن بارعا فيهم ولا متقدما في الفصاحة منهم، هذا الحال حتى لا يعلم إلا بعد

[1] محمد محمد أبو موسى الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، ص 234.

[2] المرجع نفسه ، ص ص 234- 235.

[3] المرجع نفسه، ص ص 234-235.

نظر وتأمل وحتى يعرف حال عجز غيره، إلا أنَّا رأينا صناديدهم وأعيانهم ووجوههم سلموا ولم يشتغلوا بذلك تحققا بظهور العجز وتبيانا له"[1]، وهذا يعني أن العرب حين أدركوا وتيقنوا أن هذا القرآن ليس من جنس كلامهم وأنه لا طاقة لهم بمعارضته، وأنهن لن يستطيعوا أن يأتوا بمثله فبان وتحقق عجزهم أمامه فاستسلموا ولم يشتغلوا على معارضته وهذا تحققا بظهور العجز وتبيانا له.

أورد الباقلاني شاهدا من القرآن يستدل به عن رأيه ويثبت به عجز البشر عن مجاراة القرآن، وهذا في قوله تعالى: ﴿ **لَوْ نَشَأُ لَقُلْنَاْ مِثْلَ هَٰذَا**﴾ [الأنفال:31]. فهذه الآية تخبرنا بأن أهل الفصاحة قد يكونوا كاذبين فيما أخبروا به عن أنفسهم ، وقد يكون هذا الكلام خرج منهم فدل على عجزهم ولذلك أورد الله عز وجل مورد تقريعهم[2].

لو كان العرب على ما وصفوا به أنفسهم لتجاوزوا الوعد إلى الإنجاز فبعدهم فعلهم لذلك مع وجود التحدي وإقامة الحجة عليهم بعجزهم عنه ظهر عجزهم وعُلِم، فلو استطاعوا أن يأتوا بمثل القرآن الكريم ما كانوا اقتصروا على الدعوة فقط، ولكن لا يقدر أحد على الإتيان بمثل القرآن لأنه من عند الله وحده

2-9- الوجه التاسع:

"هو أن الحروف التي بني عليها كلام العرب ثمان وعشرون حرفا وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهي أربعة عشر حرفا، ليدل بالمذكور على غيره وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينتظمون بها كلامهم"[3].

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 43.

[2] المرجع نفسه ، ص 43.

[3] الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن، ص 25.

يرى الباقلاني أن الحروف على أقسام وهي: [1]

أ- الحروف المهموسة:

هي كل حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس وذلك ما يحتاج إلى معرفته لتبنى عليه حروف العربية والحروف المهموسة على عشرة أحرف وهي مجموعة في قولنا: فحثه شخص سكت، فما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة.

ب- الحروف المجهورة:

هي حروف أشبع الاعتماد في موضعها ومنع أن يجري معها النفس، حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت. ونصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور وكذلك الأمر بالنسبة للحروف المجهورة لا زيادة ولا نقصان.

ج- الحروف الحلقية:

وهي ستة أحرف: العين والحاء والهمزة والهاء والخاء والغين، النصف الآخر من هذه الحروف مذكور في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف المثبتة في أوائل السور، وكذلك النصف من الحروف غير الحلقية.

د- الحروف الشديدة والحروف الغير شديدة(الرخوة):

الحروف الشديدة هي التي تمنع الصوت أن يجري فيه، أي أن يتم فيه حبس الصوت عن الجريان معه، فتكون فيه شدة وحروفه ثمانية جمعت في قولهم: أجد قط بكت،فما سوى ذلك من هذه الحروف فهي غير شديدة (رخوة)، ونصف هذه الحروف هي أيضا مذكورة في جملة تلك الحروف التي بني عليها تلك السور.

هـ- الحروف المطبقة والحروف المنفتحة:

الحروف المطبقة أربعة أحرف وهي: الطاء والظاء والصاد والضاد وما سواها منفتحة، ونصف هذه الحروف هو أيضا ضمن جملة الحروف المبدوء بها في أوائل السور، هذا الضبط غريب لأن أوصاف الحروف عرفت بعد زمن النبي وهذا كما قاله القاضي: "دل

[1] ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ص 44-45

على أن وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه بعد العهد الطويل، لا يجوز أن يقع إلا من الله عز وجل لأن ذلك يجري مجرى علم الغيوب[1].

يشير الباقلاني إلى أن ما أودع في بنية هذا اللسان من دقائق ورقائق، ليس من علم علمائه، لأن المعرفة علم فحسب أي اكتشف لما أودع في اللغة من حكمة ونظام وهكذا الحال في غير اللغة، فالعلم كله كشف لما أضمر من فطرة الأشياء، واستخراج لما اختبأ في خفاياها، ثم أشار إلى ما قاله في إعجاز أسماء السور من حروف المعجم، ليس هو كل ما أودع فيها، وإنما مجال الأسرار والدقائق الحكيمة والإشارات البارعة فيها متسع ففي قوله تعالى ﴿**ألـم**﴾ لفت خفي إلى أن ما أعجزكم إنما هو من جنس هذه الحروف التي تستخرجونها بأصواتكم والتي تبدأ من أقصى الحلق كصوت الهمزة وتنتهي بالشفتين كصوت الميم، وبينهما مخارج أخرى كصوت اللام ، ويفتح الباقلاني الباب للمح هذه الدقائق ويقول «قد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة تخصها في النظم، إذا كانت حروفا»"[2] ، فاستخراج مناسبات هذه الحروف وأحوالها إلى مقاصد السور وأغراضها يحتاج للمزيد من التوفر والفهم والصفاء، ووراءه علم دقيق ومعرفة لطيفة شريفة.

2- 10- الوجه العاشر:

" أنه سهل سبيله فهو خارج عن الوحشي المستكره والغريب المستنكر وعن الصنعة المتكلفة وجعله قريبا إلى الإفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب وسياق المغزى منه عيارته، وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتناول، غير مطمع من قربه في نفسه ولا ملهم مع دنوه في موقعه أن يُقدر عليه أو يُظفر به، فأما الانحطاط عن هذه الرتبة إلى رتبة الكلام المبتذل والقول المسفسف فليس يصح أن تقع فيه فصاحة أو بلاغة فيُطلب فسه الممتنع أو يوضع فيه الإعجاز"[3].

---

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص 236.

[2] المرجع نفسه، ص236

[3] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 46.

فمن كلام الباقلاني في هذا الوجه يتضح لنا أن بين عينيه بناء من الألفاظ المألوفة التي تعلو درجة واحدة فوق الكلام الدائر في أفواه الناس والجاري على ألسنتهم في شؤون حياتهم والذي سماه (الكلام المبتذل والقول المسفسف) فهذه الأقاويل السفسافة والألفاظ المبتذلة لا يصح معها بناء كلام بليغ، لأن أناقة القول لا تتأتى معها، وهذا كونها تفقد قابلية الإثراء البلاغي، والذي نوه إليه الباقلاني هنا هو اختيار وانتقاء القرآن ألفاظه من الطبقة التي فوق هذا مباشرة، ثم ينظمها ذلك النظم وينزلها هذه المنازل التي تراها في المصحف غير مطمعة، مع قربها في نفسها وغير موهمة مع دنوها في مواقعها، وهذا غريب ولا يشبهها في الغرابة إلا طينة آدم التي نفخ الله فيها الروح فكانت آدم عليه السلام وكان خليقة الله في الأرض[1].

مما يعني أن القرآن الكريم مع ما فيه من بلاغة إلا أنه سهل ميسر، وقريب ليس بالغريب الصعب المستنكر، فليس في كلامه ألفاظ وحشية مستكرهة تنفر منها النفوس، فهو سهل قريب ومُتمكن في الفهم وليس فيه ما يتعسر على النطق، فمعانيه تدخل القلب وتأسر النفوس وتخطف الانتباه، وفي المقابل نجده ممتنع المطلب أي هو سهل وممتنع وعسير المتناول ولا ملهم مع دنوه في موقعه أن يقدر عليه أو يُظفر به.

الإعجاز البلاغي عند الباقلاني هو: "خلوصه مما لا ينفك عنه كلام الناس وذلك هو التلوين والاختلاف، وهذين الأخيرين مرجعهما إلى عدم استواء الكلام على درجة واحدة وضرب واحد من حيث الفصاحة والسهولة وعذوبة الألفاظ وقربها وسخاؤها ووضوحها وتساوق النغم وتتابعه على النظام الذي تراه في المصحف لا يطرد على هذا الحد في كلام البشر، خذ أية سورة من المصحف واقرأها، وخذ أية قصيدة واقرأها، سوف تجد ذلك الاستواء المطرد في السورة واضحا بشكل لا يلتبس، وهو مختلف في القصيدة ومتغير بشكل أيضا لا يخفى ويلتبس، فلن تصادفك في السورة ألفاظ غريبة مستكرهة ولا كلمات وحشية مستنكرة،

[1] ينظر: محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص238.

كذلك لن تجد فيها كلاما مبتذلا ولا قولا سفسافا ولن تجد فيها تركيبا قلقا ولا كلمة تطلبت غير موقعها ولا صورة تُبطئ بمعناها، وأنت واجد شيء من ذلك لا محالة في الشعر"[1].

يقول الباقلاني: " قد علمت أن كلام فصحائهم وشعر بلغائهم لا ينفك من تصرف غريب مستنكر أووحشي مستكره ومعانٍ مستبعدة، ثم عدولهم إلى كلام مبتذل ووضيع لا يوحد دونه في الرتبة، ثم تحولهم إلى كلام معتدل بين الأمرين متصرف بين المنزلتين، فمن شاء أن يتحقق هذا نظر في قصيدة امرئ القيس «قِفا نبكِ مِن ذكِرى حَبيبٍ ومنزلٍ» "[2].

فقد ذكر ما تتصرف إليه هذه القصيدة ونظائرها ومنزلتها في البلاغة، وذكر وجه فوت نظم القرآن محلها على وجه يؤخذ باليد ويتصور في النفس كتصور الأشكال، لتتبين فصاحة القرآن العجيبة وكي تتضح نقاط اختلافه عن كلام البشر.

يقول الباقلاني: "فمن قال أن الأحكام معلله بعلل موافقة لمقتضى العقل، جعل هذا وجها من وجوه الإعجاز وجعل هذه الطريقة دلالة فيه كنحو ما يعللون بعد الصلاة ومعظم الفروض وأصولها، ولهم في كثير من تلك العلل طرق قريبة ووجوه تستحسن"[3].

فالباقلاني أسس الوجه العاشر على مجيء ألفاظ القرآن من هذا الضرب والذي يقتضي تحديد الكلمات التي جرت في أفواه الجاهلين ولم تجر في القرآن، ثم درس هذه الكلمات ومجالاتها ووضع معجم دقيق لكل شاعر فمن خلال هذا المعجم يمكننا أن نبين مدى قربه أو بعده عن معجم القرآن وهذا لغرض إظهار إعجاز القرآن وإعجاز كلماته[4].

هذه هي الوجوه العشرة المعجزة في نظم القرآن الكريم، وكما ذكرها الباقلاني وشرحها بابا بابا ليبين إعجازه من خلالها، فدراسته لنظم القرآن كانت تركز على المعالجة البارعة لآيات القرآن، والتي حاول من خلالها استخلاص وبيان إعجازه.

---

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص 237.

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 46.

[3] المرجع نفسه، ص47.

[4] ينظر: محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، ص 239.

3- تنوع ألوان البديع:

عقد الباقلاني فصلا في كتابه (إعجاز القرآن) تكلم فيه عن البديع من الكلام بدأه بتصوره أن أحدا يسأل: هل يمكن أن يعرف إعجاز القرآن عن طريق ما يتضمنه من البديع فأجاب الباقلاني على هذا وذلك بإيراد الألوان البديعية التي ذكرها أهل الصنعة، فقال: أن البديع قد يكون من الكلمات الجامعة الحكيمة كقوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾ [البقرة :179]، وفي الفصيحة كقوله تعالى ﴿ **فَلَمَا اسْتَيْأَسُوْا مِنهُ خَلَصُوا نَجِيَا**﴾ [يوسف :80]، وفي الألفاظ الإلهية كقوله تعالى ﴿ **ولَهُ كلُ شَيءٍ**﴾ [النمل:91]، ويذكرون من البديع قول النبي ﷺ «خَيرُ رَجُلٍ مُمْسك بعنانِ فَرَسِهِ فَي سَبِيلِ اللهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةٍ طَارَ إِلَيهَا»[1].

فمن ألوان البديع التي ذكرها الباقلاني في كتابه نذكر:

3-1- الاستعارة البليغة أو الإرداف:

معناها أن يريد الشاعر الدلالة على المعنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ هو تابع له وردف، كقول الشاعر(نؤومُ الضُّحى لمْ تَنْطقْ عَن تفصُلِ)، أراد ترفهها بقوله نؤوم الضحى[2] ، ومن ذلك أيضا قوله تعالى﴿ **قَالَ رَبِّ إِنّي وَهَنَ العَظمُ مِنّي وَاشتَعَلَ الرَّأسُ شَيبًا وَلَم أَكن بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾ [مريم:4] ، وقوله عز وجل﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: 24].

3-2- التشبيه الحسن:

كقول امرئ القيس:

كَأَنَّ عُيونَ الوَحشِ حَولَ خِبائِنا وَأَرجُلِنا الجَزعَ الَّذي لَم يُثَقَّبِ[3].

---

[1] محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، ص66.

[2] المرجع نفسه، ص66.

[3] امرئ القيس بن حجر الكندي ، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، (د ت)، ص 53 .

استبعدوا تشبيه شيئين بشيئين فحل حسن التقسيم ، ومن التشبيه الحسن في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأعْلامِ** ﴾ [الرحمن:24]، وقوله تعالى: ﴿ **كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**﴾[الصافات: 49][1].

3-3- الغلو والإفراط في الصفة:

وهذا لون من ألوان البديع عندهم، مثاله في قول النابغة:

تَقُدَّ السَلوقِيَّ المُضاعَفَ نَسجُهُ وَتوقِدُ بِالصُفّاحِ نارَ الحُباحِبِ[2]

ومن هذا الجنس في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ**﴾ [ق: 30]، وقوله عز وجل ﴿ **إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا** ﴾ [الفرقان:12]، وقوله أيضا ﴿ **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ**﴾ [الملك:8][3].

3-4- المماثلة:

وهي ضرب من ضروب الاستعارة سماه قدامة التمثيل وهو عكس الإرداف، لأن هذا الأخير مبني على الإسهاب والبسط وهو مبني على الإيجاز والجمع، وذلك أن يقصد الإشارة إلى المعنى فيضع ألفاظا تدل عليه وذلك المعنى بألفاظه مثال المعنى الذي قصد الإشارة إليه[4]، نحو قول زهير:

وَمَن يَعْصِ أطرَافَ الزِّجاجِ فَإِنَّهُ يُطيعُ العَوالي رُكّبَت كلَ لَهْذَمِ[5]

ومن هذا المعنى في القرآن الكريم قول عز وجل ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ**﴾ [البقرة:175] وقوله عز وجل ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ [المدثر:4].

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص 73.

[2] المرجع نفسه، ص77

[3] المرجع نفسه ، ص77.

[4] المرجع ننفسه، ص78.

[5] زهير بن أبي سلمى ،الديوان، شرح : على حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1408هـ/1988م ، ص 98 .

3-5- المطابقة أو التضاد:

معناها هنا ذكر الشيء وضده فقد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده فذ جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة كالجمع بين البياض والسواد،والليل والنهار، والحر والبرد. وخالفهم في هذا قدامة بن جعفر الكاتب فقال: المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى[1] ، كقول زياد الأعجم:

ونُبئتُهم يَسْتَنْصِرُون بكاهلٍ وللَّوْمِ فيهم كاهِلٌ وسَنَام

ومثال المطابقة ما ذكره ابن معتز من نظائره من المنثور قال: «أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع، فأدخلتنا في ضيق الضمان» ، ونظير هذا القول من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾ [البقرة:179]، وقوله عز وجل ﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ**﴾ [الروم:19]، وقوله أيضا ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [الحج:61].

3-6- التجنيس:

معناه أن تأتي بكلمتين متجانستين فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها ومعناها، ومنهم من زعم أن المجانسة هي أن تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق. كقول الله عز وجل ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ**﴾ [الروم:43]، وقوله أيضا ﴿ **وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [النمل :44]، وقوله أيضا ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ** ﴾ [الأنعام:26][2]، ومن أمثلة التجنيس قول زهير:

هُم يَضرِبونَ حَبيكَ البَيضِ إذ لَحِقوا لا يَنكُصونَ إذا ما اِستُلحِموا وَحَموا[3]

---

[1]أبي هلال العسكري، الصناعتين،تح : على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ/ 1952م، ص307.

[2]الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 83.

[3] زهير بن أبي سلمى ، الديوان، ص 117 .

3-7- المساواة:

هي أيضا لون من ألوان البديع، وهي أن يكون اللفظ مساويا للمعنى، لا يزيد عليه ولا ينقص عنه و ذلك يعد من البلاغة. كقول زهير:

وَمَهما تَكُن عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَةٍ وَإِن خالَها تَخفى عَلى الناسِ تُعلَمِ[1]

3-8- صحة التقسيم:

أي تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه، فمن ذلك قوله تعالى ﴿ **هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾ [الرعد:12]، وهذا أحسن تقسيم لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ليس فيهم ثالث[2]، ومن أمثلة التقسيم الصحيح قول عروة بن حزام:

بمن لو أراهُ عانيا لفديْتهُ ومن لو رآني عانيًا لَفَداني[3]

3-9- المبالغة:

أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه، ومثال هذا من القرآن قوله عز وجل ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ**﴾ [الحج:2]، فلو قال تذهل كل امرأة على ولدها بيانا حسنا وبلاغة كاملة وإنما خص المرضعة للمبالغة، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها[4] ، ومن أمثلتها أيضا قول الشاعر:

وَهُمْ تَرَكوك أَسلَحَ مِن حُب أرى رَأَت صَقرا وَأَشرَدَ مِن نَعامِ[5]

فقوله (رأت صقرا) كان لغرض المبالغة، وغيرهم مما ذكر الباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن»، ففي هذا الباب رد على من زعموا استفادة القرآن من أنواع البديع التي ذكرها، فقال

---

[1] زهير بن أبي سلمى ، الديوان، ص 111 .

[2] أبي هلال العسكري، الصناعتين، ص 341.

[3] إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، شعر عروة بن حزام دراسة تحقيقة، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع 4 ، 1961م، ص17.

[4] أبي هلال العسكري، الصناعتين ، ص365

[5] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص91.

لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه فيه وذلك كون هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له، كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة الرسالة والحذق في البلاغة[1].

انتقل الباقلاني إلى بيان أن هذا الباب لا يتعذر ولا يمتنع، وأن كلا يأخذ فيه مأخذا ويقف منه موقفا على قدر ما يملك من المعرفة، وبحسب ما يمده من الطبع، كما اعتبر هذه الألوان البديعية بابا من أبواب البراعة وجنس من أجناس البلاغة، فالقرآن الكريم لا ينفك عن فن من فنون بلاغتهم ولا وجها من وجوه فصاحتهم.

لم يسلب الباقلاني هذه الألوان البديعية فضلها حيث قال: "وإنما لم نطلق القول إطلاقا لأننا نجعل الإعجاز متعلقا بهذه الوجوه الخاصة ووقفا عليها ومضافا إليها، وإن صح أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة،آخذةبحظها في الحسن والبهجة، متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع والتعمل المستشنع"[2].

فهو من خلال أقواله يثبت لنا أن الإعجاز في القرآن يعود لنظمه فالوقوف عند الجملة القرآنية وبيان ما بها من صور بلاغية وما يتخللها من ألوان البديع، وجب أن تكون غايته ما قد يكون لهذا النوع البلاغي من تأثير، فهذا الأخير ليس معجزا في ذاته وهذا لكونه لا يخرق العادة ويخرج عن العرف بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب.

لخص الباقلاني مذهبه في الإعجاز اللغوي من خلال قوله:" فالقرآن أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه، من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته وحسن موقعه في السمع وسهولته على اللسان ووقوعه في النفس موقع القبول وتصوره تصور المشاهد وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف وما ينحصر حسنا وبهجة وسناء ورفعة فإذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس"[3].

---

[1] الباقلاني،إعجاز القرآن ، ص 111.

[2] المرجع نفسه، ص 112.

[3] المرجع نفسه ، ص 276.

خلاصة:

من خلال تحليلي لآراء الباقلاني وجدت أن الإعجاز القرآني يظهر عنده من خلال ثلاثة أوجه، الأول يكمن في الإعجاز الغيبي، أما الثاني فيكمن في أمية الرسول، أما الوجه الثالث فهو الإعجاز البلاغي.

وباعتباره أحد المتذوقين للبلاغة وجه جل اهتمامه للوجه الأخير اللغوي ووقف عنده مطولا ليثبت أن الأسلوب القرآني وبلاغته ونظمه مختلفون ومتميزون عن أسلوب وبلاغة العرب، وهذا كون كلام الله في أعلى طبقات الحسن والبلاغة ومما يعجز عنه البشر.

حصر الباقلاني الوجه اللغوي للإعجاز القرآني أي بديع نظمه في عشرة أوجه، واقفا في هذه الأوجه على جملة القرآن الكريم وأساليبه وطبيعة نظمه وبراعة تأليفه ومفرداته وحروفه.

اعترض الباقلاني على رأي الرماني حين فسر الإعجاز القرآني بوجوه البلاغة وألوان البديع، فأشار إلى بلاغة النظم التي تعتمد على وحدة النص والالتحام الموجود بين عناصره. درس الباقلاني قضية الإعجاز القرآني بمنهج جديد سد فيه ثغرات وهفوات من سبقه في هذا الباب، حيث رأى أن فنون البلاغة يمكن تعلمها والتعمل بها وهي ليست سبيلا للإعجاز فهي غير خارقة للعادة ولا خارجة عن العرف، إنما إعجازها يكون في نظمها حسن تأليفها وبراعة رصفها، فالقرآن أعجز العرب بنظمه الرفيع وتأليفه البديع.

القضية الأساسية التي شغلت الباقلاني وحاول إثباتها ضمن طيات كتابه إعجاز القرآن هي: انفراد القرآن بأسلوب مباين لأساليب كلام العرب من ناحية تصرف أسلوبه في تناول المعاني والتعبير عنها، فقد اعتبر القرآن أعلى منازل البيان وأنه في أعلى مراتب الحسن والبلاغة والبراعة في الرصف، وهذا معناه أن الإعجاز القرآني يعود لنظمه البديع، وهذا منصب على القرآن كله فهو نص كامل له سماته ومميزاته التي تفصله عن سائر أقوال العرب، وهذا سر عجزهم عن الإتيان بمثله .

خاتمة

خاتمة:

لا بد لكل باحث طالت ذيول بحثه أو قصرت من محطة يقف عندها وتتريث فيها أفكاره وتهدأ معارفه ليستدرك ما استبان له من العمل على موضوعه من غايات ونتائج نوضحها فيما يلي:

1- إن القرآن أعجز العرب في لغته وبلاغته وبراعة نظمه لهذا كان الوجه البلاغي أهم وأعم وجوه الإعجاز القرآني، فالقرآن أعلى منازل البيان وأسمى مراتب الحسن والبلاغة، فهو نص كامل له سماته ومميزاته التي تميزه وتفصله عن سائر أقوال العرب وفنون كلامهم وهذا سر عجزهم عن الإتيان بمثله .

2- إن البحث في وجوه الإعجاز القرآني يعد سبيلا للوقوف على البلاغة العربية بعلومها المختلفة، فبدراسة أهل العلم لفنون هذا العلم وقفوا على سر الجمال في التعبير القرآني الذي أعجز العرب عن مجاراة القرآن ومعارضته .

3- انفردت اللغة العربية بالقدرة على استيعاب الإعجاز اللغوي للقرآن، ومعرفة نظمها لها أهمية بالغة في فهم إعجاز القرآن.

4- عجز أعداء الإسلام قديما وحديثا عن الإتيان بمثل القرآن أو البرهان على كونه من صنعة البشر، لأنه في أعلى درجة من البلاغة والفصاحة فهو خالٍ من عيوب البشر لأنه كلام الله وحده، وقد حفظه الله من التحريف بخلاف باقي الكتب السماوية.

وعند مقارنتنا لآراء كل من الرماني والباقلاني وجدنا أنهما يتفقان فيما يلي :

1- يرى كل منهما أن القرآن خارج عن ضروب الكلام المعروفة عند العرب من شعر ونثر.

2- اتفقا في مسألة نفي السجع عن القرآن فالرماني تطرق لها من خلال باب الفواصل أما الباقلاني فقد خصص لها فصلا في كتابه إعجاز القرآن.

3- كل منهما يرى أن الإخبار عن الغيوب أحد وجوه إعجاز القرآن.

غير أن الرجلين يختلفان فيما يلي :

1- رأى الرماني أن الإعجاز القرآني يكون عن طريق الوجوه العشرة للبلاغة لكن الباقلاني يعارض هذا الرأي فهذه الفنون حسب رأيه ممكنة بالتعلم وليس فيها ما يخرق العادة وما يخرج عن العرف، ولا سبيل لإعجاز هذه الوجوه في ذاتها، إنما إعجازها يكمن في بديع نظمها وبراعة رصفها .

2- اختلف الرماني والباقلاني حول قضية القول بالصرفة فالأول عدها وجها من وجوه الإعجاز القرآني عنده، أما الثاني فقد رفض القول بها وعارض كل مؤيد لها، حيث رأى أنه لو كانت الصرفة وجها من وجوه إعجاز القرآن لما كان القرآن معجزا في ذاته إنما إعجازه يكمن في صرف همم الكفار عن معارضته.

3- لم يستشهد الرماني في رسالته إلا بالآيات القرآنية بخلاف الباقلاني الذي نوع شواهده فاستشهد بالقرآن والحديث والشعر والنثر وهذا يدل على سعة اطلاعه .

ولا يخفى عنا جهد الرماني في البحث البلاغي فله إسهامات كثيرة في هذا الباب فقد فتح الطريق للعلماء من بعده ومهد لهم السبل لأخذ هذا العلم، فقد حرر البلاغة وجعلها علما مستقلا بذاته وحرره من قيود التبعية، فمن قبل كانت البلاغة مجرد آراء متناثرة بين العلوم . أسأل الله العلي العظيم أن يكون ما قدمته خالصا لوجهه الكريم.

كما أسأله جل وعلا أن تعم الفائدة من هذا البحث الشيق، وأن أكون قد أفدت واستفدت منه، وإن أصبت فمن الله تعالى وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة

المصادر و

المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

*القرآن الكريم برواية ورش.

أولا :الكتب

1- امرئ القيس بن حجر الكندي، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4،(د. ت) .

2- الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان داودي، دار البشير، جدة، ط2، 1417هـ.

3- الباقلاني أبو بكر بن الطيب،إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ط .ت) .

4- الباقلاني أبو بكر بن الطيب، نكت الانتصار لنقل القرآن، تح: محمد زغلول إسلام،منشأة المعارف، الإسكندرية، (د ط. ت) .

5- الباقلاني أبو بكر بن الطيب، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،لبنان، ط1، 1407هـ/1987م

6- بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، مؤسسة مختار، القاهرة، ط1، 1419هـ/1997م .

7- جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار، أسرار إعجاز القرآن، جامعة الأزهر، القاهرة، ط1،1417 هـ/1997م .

8- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992م .

9- أبو الحسن أحمد بن فارس،معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، لبنان،(د. ط)، ج4،1399 هـ/ 1979م .

10- بن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، مجلد 3، (د.ت).

11- الرماني على بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول إسلام، دار المعارف، مصر، ط3.

12- أبو الحسن الرماني، أبو سليمان الخطابي، عبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول إسلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3،(د. ت) .

13- الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن وبلاغة النبوة، مر: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(د. ط)، 1426هـ/2003م .

14- زغلول راغب محمد النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية المطهرة، دار المعارف، بيروت،لبنان، ط1، 1430هـ/2009م .

15- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث القاهرة،(د. ط)، 2006.

16- الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، ج1، 1415هـ/ 1995م .

17- زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه وقدم له: الأستاذ على حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1988م..

18- الزوزني أبو عبد الله الحسن أحمد، شرح المعلقات السبع، بيت الحكمة، الجزائر ط1، 2010م .

19- السكاكي يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ/1983م .

20- سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،(د. ط)، 1999م .

21- السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة حجازي، القاهرة،ط1.

22- عبد القادر حسين، القرآن والصور البيانية، عالم الكتب، بيروت، ط2،

1405هـ/1985م.

23- العسكري أبو هلال،الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ/1952م .

24- فضل حسن عباس، إعجاز القرآن، جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ط2، 1997م .

25- الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى،الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان،(د. ط)، 1419هـ/1998م .

26- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م.

27- المناوي محمد بن عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تح :محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، سوريا ولبنان، ط1، 1410هـ .

28- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، ج2، 1425هـ .

29- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، مصر، 1979م.

30- مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط2، 1418هـ/1997م .

31- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار مسلم، الرياض، ط2، 1416هـ/1996م.

32- مصطفى الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1982م .

33- محمد محمد أبو موسى،الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهيبة، مصر، ط2، 1418 هـ/1997م .

34- محمد حسين علي الصغير، أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، دار المؤرخ

العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/ 1999م .

35- محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي .

36- نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، ط1، 1414هـ.

ثانيا: المجلات والدوريات

1- إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب،شعر عروة بن حزام دراسة تحقيقية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد الرابع، 1961م.

ثالثا : المواقع الإلكترونية

1- مليكة حفان، بلاغة الخطاب القرآني عند الرماني، المكتبة الشاملة الذهبية ، 2019م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

بسملة

شكر وتقير

اهداء

مقدمة :.....أ

الفصل التمهيدي : الإطار المفاهيمي للإعجاز القرآني

تمهيد: 1

أولا : مفهوم الإعجاز القرآني 1

1- تعريف القرآن الكريم: 1

2- تعريف الإعجاز: 3

3- تعريف إعجاز القرآن ودليله: 5

ثانيا: وجوه الإعجاز القرآني 9

1- الإعجاز البياني (اللغوي): 9

2- الإعجاز الغيبي: 13

3- الإعجاز التشريعي: 16

4- الإعجاز العلمي: 17

ثالثا: أشهر العلماء الذين كتبوا في الإعجاز قديما وحديثا 19

1- القدماء: 19

2- المحدثون: 20

خلاصة : 21

الفصل الأول : مسائل الإعجاز اللغوي القرآني عند الرماني

تمهيد: 22

أولا: نبذة عن حياة الرماني 23

ثانيا: وجوه الإعجاز القرآني عند الرماني 24

1- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة: 25

2- التحدي للكافة: 25

3- الصرفة: 26

4- الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة: 26

5- نقض العادة: 27

6- قياسه بكل معجزة: 27

7- البلاغة: 28

ثالثا: قضايا الإعجاز اللغوي القرآني عند الرماني 28

1- الإيجاز 29

2- التشبيه 35

3- الاستعارة 40

4- التلاؤم 45

5- الفواصل 48

6- التجانس 52

7- التصريف 54

8- التضمين 57

9- المبالغة.....59

10- **البيان:** 63

خلاصة :.....67

الفصل الثاني : مسائل الإعجاز اللغوي القرآني عند الباقلاني

تمهيد: 68

أولا: نبذة عن حياة الباقلاني 69

ثانيا: وجوه الإعجاز القرآني عند الباقلاني 72

1- الإعجاز الغيبي: 72

2- الإعجاز في أمية الرسول ﷺ :.....73

3- الإعجاز البلاغي:.....74

ثالثا: منهجية تحليل الإعجاز القرآني عند الباقلاني.....74

رابعا: رفض الباقلاني القول بالصرفة 76

خامسا: قضايا الإعجاز اللغوي القرآني عند الباقلاني 79

1- سمو فنون البيان:.....83

2- تعدد وجوه النظم:.....86

3- تنوع ألوان البديع: 109

خلاصة :.....114

خاتمة :.....115

قائمة المصادر و المراجع : 117

فهرس المحتويات : 117

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى معالجة إشكالية الإعجاز اللغوي القرآني بين الرماني والباقلاني، وقد اعتمدت المنهج الوصفي المقارن لعرض آراء كل من العالمين ومقارنتهما، ولمعالجة هذه الإشكالية قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول: فصل تمهيدي بعنوان إعجاز القرآن ووجوهه، والفصل الأول حول مسائل الإعجاز اللغوي القرآني عند الرماني، والفصل الثاني حول مسائل الإعجاز اللغوي القرآني عند الباقلاني، وخلال بحثنا هذا توصلنا لزمرة من النتائج أبرزها: أن الرجلان يتفقان في قضايا الإعجاز اللغوي في مسائل أهمها: نفي السجع والشعر عن القرآن الكريم، ويرى كل منهما أن القرآن خارج عن ضروب كلام العرب، ويختلفان في قضايا الصرفة وفي مسألة اعتبار أوجه البلاغة معجزة في ذاتها.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز اللغوي، القرآن الكريم، الرماني، الباقلاني، التحدي، المعارضة، النظم، البلاغة،الفصاحة، البيان.

Abstract:

This research aims to address the problem of the Quranic linguistic miracle between Al-Rummani and Al-Baqalani. I adopted the comparative descriptive approach to present and compare the opinions of both scholars, and to address this problem, I divided the research into three chapters: an introductory chapter entitled The Miracle of the Qur'an and Its Faces, the first chapter on issues of the Qur'anic linguistic miraculousness of al-Ramani, and the second chapter on issues of the Qur'anic linguistic miraculousness of al-Baqalani, and through Our research has reached a group of results, the most prominent of which are: that the two men agree on issues of linguistic miraculousness in issues, the most important of which are: the negation of rhetoric and poetry from the Holy Qur'an, and each of them believes that the Qur'an is outside the forms of Arab speech, and they differ in pure issues and in the matter of considering the aspects of rhetoric endowed in themselves.

Keywords: linguistic miracle, the Holy Qur'an, Al-Rumani, Al-Baqalani, challenge, opposition, systems, rhetoric, eloquence, statement.